بحوث إسلامية هامة ٣٤

الكتب المقدسة

في ميزان التوثيق

بقلم: عبد الوهاب عبد السلام طويلة

القرآن الكريم

التوراة

الأناجيل

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



الكتب المقدسة

في

ميزان التوثيق

بقلم

عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
e-mail : info @ dar-alsalam.com http://www.dar-alsalam.com

المقدمة



الحمد لله رب العالمين ، خالق الكون ومبدعه ، واجب الوجود ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير متصف بكل كمال منزه عن كل نقصان . خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وفطره على الحق ، وزينه بالعقل ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً . والصلاة والسلام على صفوة البشر الذين اختارهم فنبأهم وأرسلهم هداة للناس يأخذون بأيديهم إلى بر الأمان .

والإنسان مركب من جسم مادي وروح هي سر الحياة ، ولكل منهما غذاؤه ومقوماته اللذان لا يستغني عنهما ، ولا يصلح شأنه إلا بهما . فمقومات العنصر المادي هي الأطعمة والأشربة وغير ذلك ، ومقومات الروح إنما هي معنويات لا تفي العقول أو الأفكار وحدها بها . بل إنما تفي بها هداية الله

عن طريق أنبيائه وكتبه التي أنزلها عليهم . وبذلك يعيش الإنسان حياة متوازنة لا ميل فيها لجانب على حساب جانب آخر .

ولما كانت القلوب تقسو ، والنفوس تتغير وتتحكم فيها الشهوات ، ولا سيا إذا بعد العهد وطال الأمد ، فإن حكمة الله اقتضت أن تبقى كتبه بين أيدي الناس بعد موت نبيهم يقرؤون فيها ويطبقون أحكامها . كما اقتضت حكمته أن يلزم العباد بأقوال وأفعال يكررونها في أوقات متقاربة ، تذكرهم بالله واليوم الآخر وسائر تعاليم الأنبياء ، ألا وهي العبادات المتنوعة كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، فيبقى إيمانهم غضًّا طريًّا ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله . فالرسالات بما حملت في كتبها المنزلة من هدايات هي التي تجنب الإنسان خطر الضلال والشقاء والقلق والاضطراب ، وتحقق له الموازنة الصحيحة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسم ، من غير أن يطغى جانب على جانب .

إذًا فالكتب السماوية المقدسة لها دور كبير في استقرار

حياة الإنسان في الدنيا ، وتهيئته للظفر بسعادة الآخرة . لكن هل كل كتاب مقدس في زماننا هو حقيقة كتاب سماوي نزل به الوحي ؟ وهل كل كتاب حمل اسم نبي من الأنبياء هو حقيقة من كلام ذلك النبي وتعاليمه ؟؟ يقول المثل : « ثبت العرش ثم انقش » غير أن هذا لا يكون إلا بأمرين : ثبوت ذلك الكتاب إلى النبي المنسوب إليه وفق الشروط والقواعد التي وضعها العلماء في قبول الرواية ونقل الأخبار ، وخلوه من التعارض والاضطراب . لأن ما كان من عند الله يؤيد بعضه بعضًا بتضافر معانيه وتناسقها ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ . لذلك سأعرض لمحة تاريخية عن كل كتاب مقدس ينسب إلى الوحي السماوي في زماننا ، وأضعه في ميزان التوثيق المكون من القواعد والضوابط والشروط التي وضعها العلماء ، وأقر بها العقلاء لثبوت الكتاب السماوي . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . ألا وإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأشرف الكلام ذكر الله ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت موت الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد

الهـــدىٰ ، وشر العمىٰ عمىٰ القلب ، وشر المعـــذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن أعظم الخطايا اللســان الكـذوب ، ورأس الحكمـة مخـافـة الله . ولا حـول ولا قـوة إلا بالله .

المدينة المنورة ، ينبع الصناعية ٢١ / ١ / ١٤١٠ هـ

توطئة

في شروط صحة الكتاب السماوي

ثمة تلازم بين عقيدة كل قوم وكتابهم المقدس ؛ فإذا ثبت بطلان الكتاب أو تحريفه لزم من ذلك فساد عقيدتهم التي تقوم عليه . ولا يكفي مجرد الادعاء ، بل البينة على المدعي . وقد وضع الباحثون قواعد وشروطًا لقبول الكتاب السماوي والتسليم به ، أهمها ما يلي :

١ ـ أن يكون النبي الذي يُنسب الكتاب إليه ، ويُدعى نزوله عليه قد عُلم صدقه يقينًا بواسطة دلائل النبوة المعروفة .

٢ ـ أن يذكر ذلك النبي صراحة أن الله سبحانه أوحى به إليه ، ويدعم ذلك بالبينات الثابتة من معجزات وغيرها ، ثم يثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، أو بالكتاب نفسه إن كان معجزًا .

٣ ـ أن تكون نسبة الكتاب إلى النبي ثابتة بالطريق القطعي ؛ وذلك بأن يثبت أولاً أنه ضُبط من قِبَل ذلك النبي

سماعًا ، ثم تلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل ، من غير أية مظنة للانتحال أو التحريف أو التبديل . وأساس ذلك التواتر .

٤ ـ أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضًا أو مضطربًا يهدم بعضه بعضًا ؛ فلا تتعارض تعاليمه ولا تتناقض أخباره أو تخالف الحقائق والوقائع ، بل يكون كل جزء منه مكملاً للآخر ومتممًا له . لأن ما يكون من عند الله لا يختلف ولا يفترق ، ولا يتناقض ، ولا يخالف الحقائق الثابتة . قال سبحانه : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ [1] (النساء / ٨٢) .

ونحن على ضوء هذه القواعد والشروط سنستعرض الكتب التي تنسب إلى الوحي السماوي في زماننا لنرى مدى صحة كل كتاب . ولن أفتئت على قوم بقول لا يقبلونه ، أو أبهتهم بشيء لا يعرفونه . بل إنما سأذكر ما يقرون به ويعترفون ، مما نطقت به أسفارهم أو أقر بصحته علماؤهم . أما الاستنتاج

---

(١) إظهار الحق ١ / ٦ ، محاضرات في النصرانية ص ١٣ ـ ١٤ .

فهو من حق الباحث والقارئ .

ا ـ وسأبدأ أولاً بمصادر التشريع الإسلامي . ويشمل ذلك ما يلي :

١ ـ لمحة موجزة عن عناية المسلمين بالأسانيد .

٢ ـ توثيق النص القرآني ومراحله . ويشمل ذلك ما يلي : نزول القرآن منجمًا وحكمة ذلك ـ كتابة القرآن وحفظه حين نزوله ـ نزول القرآن على سبعة أحرف ـ جمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه ـ توثيق القرآن وتعميمه في زمن عثمان رضي الله عنه ـ لِمَ منع عثمان سائر الصحف ـ امتناع تحريف القرآن الكريم .

٣ ـ انسجام معاني القرآن الكريم وتناسق مبانيه .

ب ـ ثم أُثنّي بما يُعرف لدىٰ أهل الكتاب بالتوراة أو أسفار الشريعة أو كتب موسىٰ الخمسة .

ويشمل البحث فيها ما يلي :

١ ـ لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها .

٢ ـ مدىٰ صحة العهد القديم . ويتضمن ذلك ما يلي : عدم وجود سند أو شبهة لهذه الأسفار ـ جهالة الكتاب الحقيقيين لها ـ وجود ثلاث نسخ رئيسية مختلفة للعهد القديم ـ تغيرٌ موقف الكنيسة علىٰ التوالي من العهد القديم .

٣ ـ اضطراب العهد القديم . وسأعرض فيه نماذج من الفروق بين النسخ الثلاث ، فنماذجَ من التناقض والأغلاط في الأسفار الخمسة ، وأختم البحث فيه بنماذج من التناقض بين التوراة وسائر الأسفار .

جـ ـ وأخيرًا نستعرض أربعة الأناجيل المعترف بها لدى النصارىٰ اليوم . ويشمل ذلك ما يلي :

١ ـ لمحة تاريخية عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها ، مبينًا حقيقة الإنجيل عند النصارىٰ ، معرجًا علىٰ بولس ودوره ، فعرضة كتابهم المقدس للتحريف .

٢ ـ مدىٰ صحة العهد الجديد ويتضمن ذلك ما يلي : عدم وجود سند أو شبهه لأسفاره ـ جهالة مصنفيها الحقيقيين ـ اضطراب متنها .

٣ ـ نماذج من التناقض والتحريف في الأناجيل . ويتضمن ذلك : نماذج من تعارض الأناجيل مع العهد القديم ، فنماذج من تعارضها فيما بينها ومع نفسها ، ثم نماذج من تعارضها مع الحقائق والوقائع .

وإنما قدمت البحث في توثيق المسلمين لنصوص تشريعهم ، لأن أهل الكتاب لا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار كما سنرى . وبضدها تتميز الأشياء .

عناية المسلمين بالأسانيد

إن علم الإسناد في نقل الروايات ظاهرة اختصت بها أمة محمد ﷺ ، ولا سيا في مجالي قراءات القرآن الكريم ونقل سنة رسول الله ﷺ .

ومن الملاحظ أن الأسس والأركان الرئيسية لعلم الرواية ونقل الأخبار مذكورة في القرآن والسنة :

فقد جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين ﴾ (الحجرات / ٦).

وجاء في السنة قوله ﷺ : « نَضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلَّغه كا سمعه ، فرب مبلَّغ أوعىٰ من سامع » ـ رواه الترمذي وقال حسن صحيح ـ .

وامتثالاً لأمر الله ورسوله كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها ، ولا سيا إذا شكّوا في صدق الناقل ، حتى إنهم كانوا يتهمون من يكثر من الرواية خشية

أن يخبر عن الرسول ﷺ بغير مـا رأىٰ أو سمع . فكان عمر ـ رضي الله عنـه ـ يستحلف الراوي أنـه سمع ذلـك من الرسـول مباشرة ، وفي بعض الأحيان كان يطلب شهودًا علىٰ ذلك [١] .

وظهر بنـاء على ذلـك مـوضـوع الإسنـاد وقيمتـه في قبـول الأخبـار أو ردّهـا . بل صـار الإسنـاد في الحـديث هو الأصـل الـذي عليـه الاعتماد . قـال سفيـان الثوري : « الإسنـاد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معـه سلاح فبـأي شيء يقـاتل » . وقـال عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» . وقـال الشـافعي : « الـذي يطلب العلم بلا سنـد كحـاطب ليل ، يحمل حزمـة حطب ، وفيـه أفعىٰ وهو لا يدري » [٢] .

وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنـده ظهر علم (الجرح والتعديل) والغرض منـه الكشف عن أحوال الرواة ، وتمييز صـاحب الأهليـة من غيره ، ومعرفـة المتصل أو المنقطـع

---

(١) جامع الأصول ١ / ٧٧ ـ ٧٨ ، لطائف الإشارات ١ / ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) جامع الأصول ١ / ١٠٩ ، صحيح مسلم ١ / ٢٢ ، فيض القدير١ / ٤٣٣ .

من الأسانيد ، ومعرفة العلل الخفية . وقد بذل العلماء في ذلك جهدًا عظيمًا للتحري عن أحوال الرواة ودراسة حياتهم . وكانوا في غاية التجرد والموضوعية . وقد ألّفوا كتبًا في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم . فلستَ ترى حديثًا عن النبي ﷺ إلا وترجمة رواته كلهم في تلك الكتب . وليس ثمة شخص جاء ذكره في حديث إلا تعرض له المحدثون بالجرح أو التعديل ؛ فهناك كتب انفردت بتناول الثقات ، وكتب انفردت بتناول الضعفاء ، وكتب ألفت في الطبقات ، وكتب في معرفة الأسماء وفروعها وغير ذلك . ولا يقبل حديث في سنده راو لا يعرف حاله [١] .

ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهرت علوم كثيرة متفرعة تتعلق بالحديث من حيث ضبطه وكيفية تحمله وأدائه وغير ذلك ، حتى نشأ علم (مصطلح الحديث) وهو علم يُعنى بقواعد وأصول يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد على نحو لا مجال بعده للحيطة أو التثبت .

---

(١) السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

وقد برع علماء الحديث في حفظ الأحاديث بأسانيدها حتى كانوا أعجوبة الدنيا في ذلك ، إذ كان الكثيرون منهم يحفظون عشرات الآلاف من الأحاديث بأسانيدها ، ويميز صحيحها من سقيمها . فكانوا بحق حفظة دين الله وحراس شريعته [١] .

أقسام الخبر من حيث القبول أو الرد :

قسم العلماء الخبر من حيث قبوله ورده ، أو صحته وضعفه إلى ما يلي :

١ ـ الحديث الصحيح : وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة .

والعدل : هو المسلم البالغ العاقل الثقة المأمون المتصف بالتقوى .

أما الضبط فنوعان : ضبط حفظ في الصدور وضبط كتابة في السطور .

---

(١) منه ص ١٢٥ ، جامع الأصول ١/ ٣٩ ـ ٤٠ .

٢ ـ الحديث الحسن : وهو الذي تتوفر فيه شروط الصحيح نفسها ، غير أن أحد رواته دون الصحيح في الضبط والحفظ والإتقان .

٣ ـ الحديث الضعيف : وهو ما اختل فيه شرط من شروط الصحة أو الحسن ، كما إذا كان أحد رواته مجهول الحال أو سيّئ الحفظ أو كان في سنده انقطاع أو ما أشبه ذلك .

أقسام الخبر من حيث قوة السند :

يقسم الخبر من حيث تعدد طرقه وقوة سنده إلى قسمين :

١ ـ الحديث المتواتر: وهو ما رواه جمع كثير عن جمع كثير مثلهم ، بحيث يستحيل أن يتفقوا على الكذب ، في كل طبقة من طبقات سنده إلى رسول الله ﷺ .

٢ ـ خبر الآحاد : وهو ما لم تجتمع فيه شروط التواتر . ويشمل ذلك ما يلي :

ا ـ المشهور : وهو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة من طبقاته ، ولم يبلغ حد التواتر .

ب ـ العزيز : وهو ما رواه اثنان عن اثنين في كل طبقة .

جـ ـ الغريب : وهو ما رواه راو واحد في طبقة من طبقات سنده .

ومن الجدير بالذكر أن مصادر التشريع الإسلامي التي تستند إلى الوحي إنما هي القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ فأما القرآن الكريم فيشترط في ثبوته التواتر ، وأما السنة ، وهي ما أثر عن الرسول ـ ﷺ ـ من قول أو فعل أو تقرير ، فيشترط لاستنباط حكم شرعي منها أن يكون الحديث صحيحًا أو حسنًا .



توثيق النص القرآني ومراحله

انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية التي سبقته بتوثيقه توثيقًا مكينًا وصل إلى الذروة . وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه . أما الكتب السماوية السابقة فإنما أوكل حفظها إلى علمائها ، لا إلى الأمة كلها . ولذلك ضاعت وحُرفت بعد جيل أو جيلين من موت النبي الذي أنزلت عليه كما سنرى . وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (المائدة / ٤٤) أي بما سألتهم أنبياؤهم حفظه من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ورقباء لئلا يطرأ عليه التبديل والتغيير [١] .

ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، وقد نزل على خاتم الأنبياء ، فقد تكفل الله بحفظه صحيحًا سالمًا من التحريف أو التبديل ، حتى في طريقة أدائه وتلاوته . قال

---

(١) الكشاف للزمخشري ١ / ٦١٥ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٦٨ - ١٦٩ .

سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر / ٩) ولذلك أوْكَل حفظه إلى الأمة كلها ، وسَنَّ لها رسول الله - ﷺ - سنة حفظه كاملاً . وقد عُني المسلمون الأولون والآخرون بحفظ القرآن وسلامته عناية ملكت عليهم كل مشاعرهم وأحاسيسهم ، فكانت هذه العناية مصداقًا للآية الكريمة . ولذلك فإن تاريخ القرآن الكريم وتوثيقه معروفان بدقة متناهية لا تدع أيّ مجال للخطأ أو الشك . وإليكم تفصيل ذلك :

نزول القرآن منجمًا وحكمة ذلك :

نزل القرآن منجمًا خلال ثلاث وعشرين سنة لحكم كثيرة ، منها ما يلي :

١ - تثبيت فؤاد النبي - ﷺ -: قال سبحانه : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾ (الفرقان / ٣٢) أي أنزلناه كذلك مفرقًا لنثبت به قلبك . ويظهر التثبيت من الوجهين التاليين :

ا ـ إنه إذا نزل الوحي على النبي ـ ﷺ ـ حالاً بعد حال قوي قلبه ، وكان في ذلك إعانة له على الصبر واحتمال الأذىٰ ، وتقوية على أداء ما تحمل .

ب ـ كان النبي ـ ﷺ ـ يضيق صدره في بعض الأحيان بإيذاء المشركين له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ (الحجر : ٩٧) وبنزول القرآن منجمًا يقص الله سبحانه عليه من قصص من سبقه من الأنبياء ما يناسب الحالة التي هو فيها ، فيضفي عليه الأنس والسكينة قال سبحانه : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق ، وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين ﴾ (هود : ١٢٠) ، كما أن في ذلك أيضًا تثبيتًا وترغيبًا للمؤمنين وإنذارًا وتحذيرًا للكافرين .

٢ ـ إن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه ، وقد تحدى الفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله فإذا نزل منجمًا تكرر التحدي إلى أن يأخذ كماله باكتمال نزوله .

٣ ـ تيسير كتابته وإحكام حفظه ؛ فقد كان النبي ﷺ

أميًا لا يكتب ولا يقرأ ، فلو نـزل عليـه القرآن جملـة واحـدة لشق عليـه حفظـه ، ولربما اعتمـد على كتـابـة من يكتب لـه الكتاب عند نزولـه ، وتسـاهل في حفظـه . فلما نزل منجمًا سهل عليه حفظه ، وبقيت سنة حفظ القرآن بكماله في أمته .

كما أن العرب كانوا أمـة أميـة ، قـل فيهم من يحسن القراءة والكتابـة ، ولو نزل دفعـة واحـدة لشق عليهم حفظـه ، وثقل لفظه .

٤ ـ كان القرآن ينزل بحسب الأسئلة والوقائع والمنـاسبـات كما هو واضـح في أسبـاب النزول ، فكان الصحـابـة ـ رضي الله عنهم ـ بذلـك يزدادون بصيرة . ولو نزل دفعـة واحـدة لفـات هذا الغرض .

٥ ـ لتستعد القوى الإنسـانيـة لتلقي هـذا الفيض الإلهي ، ولتقوى على وعيه وفهمه ، ولو نزل بـالأحكام والمعارف دفعـة واحدة لثقل ذلك على النـاس . وبنزولـه مفرقًا حصل التمهيـد في إكساب المعارف والتـدرج في الأحكام الشرعيـة ، كما حـدث في تحريم المسكر . قال سبحانه : ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه على**

الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ (الإسراء / ١٠٦) [١] .

كتابة القرآن وحفظه حين نزوله :

كان النبي - ﷺ - دقيقًا كل الدقة وحريصًا كل الحرص على كتابة القرآن وعدم اختلاط غيره به ، فقد كان له كُتّاب وحي يتلقفون ما ينزل عليه ، فيكتبونه في وعي وإدراك ودقة وإتقان . بلغ عددهم تسعة وعشرين كاتبًا ، أشهرهم الخلفاء الخمسة الأوائل والزبير بن العوام وسعيد بن العاص وأُبيّ ابن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم [٢] .

وكان - ﷺ - يأمرهم بكتابة الوحي حين نزوله ، ويقف أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ، ويعلمهم مواضعها منها ، فما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله - ﷺ - من يكتب أن يضعها في مكان كذا من سورة كذا [٣] .

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني ص ٢٤ ، إظهار الحق٢ / ٥٦ - ٥٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٦ ، الإتقان في علوم القرآن١ / ٧ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٥ ، الإتقان ١ / ٦١ ، الفوائد في مشكل الآثار =

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يتلقون ما نزل من فم النبي ﷺ ويتسابقون إلى حفظه ، ويتبارون في تلاوته . والنبي ﷺ بينهم يعرضون عليه ما حفظوا ليتثبتوا من حفظه على ما سمعوا منه . كما كانوا يسمعون منه تلاوته في الصلوات الجهرية وغيرها مع بيان أحكامه وكشف معانيه وكان من حضر النزول منهم يُعلم من لم يشهده من إخوانهم ، فضلاً عن أهل بيتهم ، فيجري التنافس الكبير على حفظه . وقد شارك النساء الرجال في هذه المنافسة والشرف العظيم [(١)] .

وهكذا كان حفظ القرآن وكتابته يسيران جنبًا إلى جنب ليلتقي المكتوب بالمحفوظ ، فكلاهما توثيق للآخر . وما من آية إلا وقد كان يحفظها جمع تقوم الحجة بنقلهم . وقد تمثل حرص النبي - ﷺ - على كتابة القرآن حين نزوله على هذا المستوى الكبير من الدقة والإتقان في منع كتابة أي شيء عنه سواه ، حتى لا يختلط به ما ليس منه ، ولا سيما في أول الأمر . ثم سمح بعد ذلك بكتابة سنته حيث أمن اللبس .

= للعز بن عبد السلام ص ٢٦ - ٢٧ .

(١) مقدمتان ص ٦٧ ، الإتقان ١ / ٧٣ .

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ: لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه . ـ أخرجه مسلم ـ .

وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يعارض النبي ـ ﷺ ـ بالقرآن كل سنة في شهر رمضان .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ كان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ـ أخرجه الشيخان والنسائي ـ .

وفي رواية أخرى لهم : وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن .

وقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ عرض القرآن بعد تمامه على جبريل عرضتين ، ثم قرأه على أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بعد ذلك على الترتيب الذي نعرفه [١] .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان يعرض ـ أي

---

(١) البرهان ١ / ٢٣٢ .

جبريـل - على النبي ﷺ القرآن كل عـام مرة ، فعرض عليـه مرتين في العام الذي قُبض فيه . أخرجه البخاري .

نزول القرآن على سبعة أحرف :

القرآن الكريم هـو كـلام الله القـديم ، نـزل بـه الروح الأمين ، على قلب محمد - ﷺ - ليكون من المنذرين ، بلسـان عربي مبين . ولما كان محمـد - ﷺ - من قريش ، وكانت لغـة قريش هي الفصحىٰ التي سـادت وعمّت في الجـاهليـة ، فمن البديهي أن ينزل القرآن بلغتها قال سبحانه : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ (الدخان : ٥٨) .

وظل المسلمون في مكة المكرمـة ثلاث عشرة سنـة يقرؤون القرآن علىٰ حرف واحـد بلغـة قريش من غير عنـاء ، لأن معظمهم كان ينتمي إلى قريش أو مَنْ جـاورهـا . لكنّ الأمر اختلف بعد الهجرة إلى المدينـة المنورة ، فقـد دخل في الإسلام أبناء القبائل الأخرىٰ ، وبدأت بوادر المشقة تظهر على الألسنـة التي اختلفت لهجاتها مع لهجـة القرآن ، ثم ازدادت المشقـة بعد فتح مكـة وإقبـال الـوفـود من شتىٰ أنحـاء الجـزيرة العربيـة ،

ولا سيما الذين كانوا في الأطراف ، فإنهم كانوا بعيدين عن لهجة قريش . فأشفق الرسول - ﷺ - على أمته الأُمّية ، لما تلاقيه من صعوبة في تعلّم القرآن ، وطلب من ربه التخفيف ، فاستجاب الله لنبيه ، وجاء الترخيص بالأحرف السبعة ، فتلقت كل قبيلة القرآن من رسول الله - ﷺ - بلهجتها ، فسَهُل عليها تلاوته وفهمه .

ومن الجدير بالذكر أن الأحرف القرآنية كانت مأخوذة من معظم لغات القبائل العربية ، غير أنها منتقاة من فصيحها وجيدها ، ولقريش في ذلك النصيب الأوفر . وذلك ليتاح للعرب جميعًا أن يقرؤوا كتاب ربهم ، ويتدبروا معانيه ، ثم يحملوا الرسالة إلىٰ سائر الأمم باستيعاب وتطبيق [١] .

ولما كثر الناس ، وامتزج بعضهم ببعض ، ومَرَنَت الألسنة ، وتدربت على قراءة القرآن في اللغة والقراءات التي ارتضاها الله لكتابه ، انتهىٰ ذلك الترخيص بالعرضة الأخيرة ، حيث استقر القرآن علىٰ صيغته النهائية بنصه وعدد آياته

(١) مقدمة تفسير الطبري ١ / ٤٢ ، مجلة كلية القرآن الكريم ص ٩٣ - ٩٥ .

وترتيبه وأوجهه المنزلة ثم عُمم ذلك بشكل مؤكد وجازم في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما سنرى (١) .

جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر رضي الله عنه :

بدأت كتابة القرآن الكريم في وقت مبكرا جدًا ؛ فقد واكبت نزوله في مكة المكرمة ، واستمرت إلى أن التحق النبي ـ ﷺ ـ بالرفيق الأعلى كما سلف ، لكنِ المشهور أن القرآن الكريم لم يكن جُمع في زمن رسول الله ـ ﷺ ـ على شكل مصحف كامل بين دفتين عند شخص واحد ، غير أنه كان مكتوبًا عند جميعهم ، وما ينقص من شخص يكمله ما عند الآخرين . هذا من حيث الكتابة ، أما من حيث الحفظ في الصدور ، فقد استوفاه كثير منهم . ومما يدل على ذلك أنه قتل من الحفظة في غزوة بئر معونة قرابة سبعين (٢)

وفي خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ استحر القتل بالقراء في الحروب ، ولا سيا في معركة اليمامة . فخشي أبو بكر

---

(١) مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٢٣ ، مجموع فتاوىابن تيمية ١٣ / ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

(٢) الإتقان ١ / ٧٢ ، المعجزة الكبرى القرآن ص ٢٨ ، الفوائد ص ٢٦ ـ ٢٧ .

وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أن يستحر القتل فيهم أيضًا في معارك آتية . لأنهم كانوا يتهافتون على القتال طلبًا للشهادة ، فعملا على جمع القرآن الكريم في كتاب واحد بين دفتين ، خشية أن يضيع شيء منه بذهاب حفظته ، وليكون ما يجمع مرجعًا رسميًا للناس . فانتدبا لذلك كاتب الوحي القوي الأمين زيد ابن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وكان ممن حضر قراءة النبي ـ ﷺ ـ للقرآن على الصحابة في السنة التي كانت فيها وفاته ، بعد العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام ـ ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك فيقول : « أرسل إليّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر ـ رضي الله عنه ـ جالس عنده . فقال أبو بكر : إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن ، فيذهب من القرآن كثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال : قلت لعمر : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ ؟! فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال

زيد : فقال لي أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قال : قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟! فقال أبو بكر : هو والله خير . قال : فلم يزل أبو بكر يراجعني - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني - حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر . قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعُسُب واللخاف [1] وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خُزيمة ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ خاتمة براءة . قال : فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر » - أخرجه البخاري والترمذي .

---

(١) الرقاع : جمع رقعة ، والعُسُب : جمع عسيب ، وهو سعف النخل ، واللخاف : جمع لَخْفة ، وهي حجارة بيض رقاق كانوا يكتبون عليها . انظر جامع الأصول لابن الأثير ٢ / ٥٠٣ .

وجَمْعُ زيد ـ رضي الله عنه ـ لم يكن في الحقيقة إلا إعادة لمكتوب كان قد كتب في عهد النبي ـ ﷺ ـ ولكنه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد . وكان منهجه في الجمع على الطريقة التالية :

١ ـ أن لا يقبل شيئًا من أحد حتى يشهد شاهدان ، مبالغة في الحيطة وتحريًا في الدقة ، مع أنه هو كان من حفاظ القرآن الكريم . وإنما كان يطلب التثبت عمن تلقاها من النبي ـ ﷺ ـ مباشرة من غير وساطة أحد .

أما قوله عن خاتمة براءة : « لم أجدها مع غيره » فمعناه أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد غير خزيمة . فالذي انفرد به خزيمة عمن تتبع الآية عندهم إنما هو كتابتها لا حفظها . لأنه كان كما قال أبو شامة : « لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ـ ﷺ ـ لامن مجرد الحفظ » . إذا الآية قد ثبتت بأخبار كثيرة عمن حفظوا في صدورهم ، وهو واحد منهم . وليست الكتابة شرطًا في التواتر .

٢ ـ التقاء المحفوظ بالمكتوب ، فكان لا يكتفي بأحدهما

دون الآخر ، ليتم التوثيق بشقيه . وهذا له قيمة كبرى [(١)] .

ومما ينبغي الانتباه إليه أن عمل زيد هذا لم يكن انفراديًّا ، بكل كان جماعيًّا ، وذلك أنه أعلن خطته في جمع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ليأتيه الحافظون والكاتبون بما عندهم . وبعد أن كتب القرآن كله تلقاه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقرؤوه وتدارسوه ، ثم أقرؤوه [(٢)] .

توثيق القرآن وتعميمه في زمن عثمان رضي الله عنه :

اتسعت الفتوح في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكثر الداخلون في دين الله ، فتعددت القراءات وكثرت اللهجات في البلاد المفتوحة . وكل قارئ يعزو قراءته إلى قارئ من الصحابة ، فثار الجدل واحتدم النزاع ، واتسعت الفروق بين القراءات . فخشي عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن تطغى اللهجات العربية الأخرى على ما نزل به القرآن وأقر في العرضة

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٩ / ١٢ ، الإتقان ١ / ٥٨ .

(٢) المصاحف ص ٥ ـ ١٠ وانظر مقدمة الطبري ١ / ٦٢ والمقنع لأبي عمرو الداني ص ٣ ـ ٤

الأخيرة ، كما خشي أن يدخل في القرآن ما ليس منه فيما بعد إن استمر الأمر على هذه الشاكلة ، فاستنسخ من المصحف الذي جُمع في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ مصاحف أرسلها إلى الآفاق الإسلامية (١) .

عن محمد بن شهاب الزهري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قدم على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيّة وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة ـ رضي الله عنه ـ اختلافُهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها إليه . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا

---

(١) فتح الباري ٩ / ١٢ ، الفوائد في مشكل الآثار ص ٢٦ .

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن - وللبخاري من رواية شعيب بن أبي حمزة : في عربية من عربية القرآن - فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أن يحرق . أخرجه البخاري والترمذي .

لِمَ منع عثمان سائر الصحف ؟

تفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمصار وانتشروا في الديار مجاهدين ومُعلّمين بعد موت النبي - ﷺ - وكلٌ منهم يحفظ ما سمعه من النبي - ﷺ - في صدره أو يكتبه في صُحُفِه ، ويعلمه أهل البلاد المفتوحة . فكان هذا سببًا في انتشار الأحرف القرآنية المنزلة قبل العرضة الأخيرة إذ لم يكن جميع الصحابة - رضي الله عنهم - على علم بذلك . وهم متمسكون بما سمعوه من رسول الله - ﷺ - فتناقل الرواة عنهم

هذه القراءات من غير أن يعلموا بالنسخ [١] .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال عمر - رضي الله عنه - على المنبر : أُبيٌّ أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أُبيّ ، وأُبي يقول : أخذت من في رسول الله - ﷺ - فلا أتركه لشيء . وقال الله : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (البقرة : ١٠٦) . أخرجه البخاري .

ولحن أبي هو لغته وقراءته وطريقته التي يقرأ بها القرآن [٢] . قال الحافظ في الفتح : وكان أبي لا يرجع عن حفظه من القرآن ، لأنه تلقاه من رسول الله - ﷺ - في أول الأمر . وقد استدل عمر - رضي الله عنه - بالآية على وقوع النسخ .

أضف إلى ذلك حدوث قراءات لهجية من قبل من لم تستطع ألسنتهم أن تجاري القراءة التي تلقوها في مخارج الحروف ونطق الكلمات ، فتلقفها بعض الناس وكتبوها

---

(١) الإتقان ٢ / ٢٢ ، فتح الباري ١٢ /١٤٣ .

(٢) جامع الأصول ٢ / ٤٨٤ ، والآية من سورة البقرة رقم ١٠٧ .

وتناقلوها على أنها قراءات وهكذا تعددت الروايات ، وأصبحت القراءات معرضًا ضخمًا لِلّهجات العرب المختلفة .

وقد أجمع المسلمون منذ الصدر الأول على أنه لا يُقرأ بحرف ، ولا يُحكم بقرآنيته ، ولا يُكتب في المصحف حتى يتحقق في نقله التواتر . ولذلك لم يثبت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في المصحف الذي كتب أيام أبي بكر ثم في زمن عثمان إلا ما أجمع جمهورهم على أنه ثبت في العرضة الأخيرة التي قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل ، ثم أقرأ بها أصحابه . وأخرجوا ما عدا ذلك [١] .

ولما أطلت الفتنة برأسها قام عثمان باستنساخ عدة نسخ مما جُمع وسُجِّل في زمن أبي بكر مع ضبط كتابتها بعد تحري ما ثبت في العرضة الأخيرة ، ثم أرسلها إلى الآفاق ليجمع الناس على مصحف واحد ، وعزّم على كل من عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يمزقه ويغسل حبره ، أو

---

(١) فتح الباري ١٢ / ١٤٣ ، النشر ١ / ٣١ ، مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٢٣ ، الإتقان١ ـ ١٣٨ .

يحرقه . فاستوثقت الأمة له بالطاعة .

ومن الجدير بالذكر أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ما فعل شيئًا إلا بمشورة الصحابة واتفاقهم . وكل مصحف من المصاحف التي أمر بنسخها ، وإرسالها للأقاليم كتبه جماعة ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم [(١)] .

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن الحروف السبعة لا تتضمن تناقضًا في المعنى أو تضادًا . بل إن معناها تاره يكون متفقًا وتاره يكون متقاربًا ، تتعاضد فيه المعاني ولا تتعارض [(٢)] . ويدل على ذلك ما يلي :

روى البخاري عن محمد بن شهاب الزهري أنه قال : اختلفوا يومئذ في ﴿ التابوت ﴾ فقال زيد (التابوه) وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص (التابوت) ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش .

وروى الحسين بن فارس بسنده عن هانئ قال : كنت

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٢٩٥ و١٥ / ٢٥٣ .

(٢) النشر ١ / ٤٩ و٥٢ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣٩١ و٤٠١ .

عنـد عثمان ـ رضي الله عنـه ـ وهم يعرضون عليـه المصـاحف ، فـأرسلني بكتف شـاة إلى أبي بن كعب فيهـا : (لم يتسنّ) و (فـأمهـل الكافرين) و (لاتبـديـل للخلـق) . قـال : فـدعـا بـالـدواة ، فمحـا إحـدى اللامين وكتب ﴿ لخلـق الله ﴾ ومحـا (فـأمهـل) وكتب ﴿ فمهّل ﴾ ، وكتب ﴿ لم يَتَسَنَّهْ ﴾ ألحـق فيها هاء [١] .

وهكـذا كان عمـل عثمان امتـدادًا لعمـل أبي بكر ، غير أن عثمان جمع شمل المسلمين ووحد كلمتهم بحفظ كتاب ربهم سـالمًا من التحريف والتبديل .

امتناع تحريف القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم المنقول بالتواتر من لـدن رسول الله ﷺ إلى يـومنـا هـذا لم يكن الاعتماد في نقلـه على نسـخ المصـاحف وحـدهـا كما سلف ، بل إنمـا كان ولا يزال الاعتماد على حفظـه في قلـوب أهـل التـواتر . أضف إلى ذلـك أن طريقـة أدائـه لا تتـأتى إلا عن طريق التلقين والروايـة . ومن فضل الله على

---

(١) الصاحبي ص ١٣ .

الأمـة أن يسّر حفـظ كتـابـه لمن أراده بـإخـلاص ، ولا سيما الصغار ، فإنهم يحفظونه في أقصر مدة . قال سبحانه : ﴿ ولقـد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (سورة القمر) .

إن القرآن الكريم محفوظ في قلـوب ألـوف مـؤلفـة من المسلمين صغارًا وكبارًا رجالاً ونساءً ، لا يحصي عددهم إلا الله . ولهذا إذا ظهر مصحف يخالف حفـظ النـاس تنبهوا لـه . وقـد يكون في بعض المصاحف أخطـاء مطبعيـة فلا يُلتفت إليهـا . بل لو عُـدمت المصـاحف أصلاً لم يقـدح ذلـك في نقـل القرآن الكريم . لأن حفظـه غيبًا فرض كفـايـة على الأمـة . بل إن تعليه وتعليم قراءاته وتعلّمها فرض كفايـة أيضًـا ، لئلا ينقطع التواتر . فكيف يتطرق إليه التحريف ؟! [1] .

كم حاول أعداء الإسلام متظاهرين متعاضـدين أن يطبعوا طبعات مزيفة من المصاحف ، أدخلوا فيها عبارات ليست من القرآن ، وأنقصـوا منـه عبـارات ، وتـلاعبـوا بعبـارات .. لكن سرعـان مـا انكشف الأمر ، ووقف النـاس علىٰ أمـاكن الزيف

---

(١) النجوم الطوالع ص ٢٢ .

وأعلن التحذير ، فذهبت جهودهم المبيتة أدراج الرياح ، وصار أمرهم كما قال الأعشىٰ في لاميته المشهورة :

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنَها
فلم يَضِرها وأوهىٰ قرنَه الوعل

وصفوة القول في ذلك :

إن الرسول - ﷺ - لم ينتقل إلى جوار ربه إلا وكان القرآن كله مكتوبًا ومحفوظًا لدىٰ الكثيرين من الصحابة - رضي الله عنهم - فأدّوه إلى من بعدهم من التابعين حفظًا وكتابة بشكل متواتر حتى في طريقة قراءته ورسم حروفه ، ثم تواتر نقله على هذه الشاكلة حفظًا وكتابة من جيل إلى جيل في مشارق الأرض ومغاربها حتى وصل إلينا كاملاً سالمًا مصونًا من أي تحريف أو تبديل ، بحيث يحصل العلم القطعي لدي العامة والخاصة من جميع الأمم أن هذا القرآن هو الذي ظهر للناس من فم محمد - ﷺ - وأخبر أن الله أوحىٰ به إليه .

وليس ثمة شيء من الأسفار المقدسة لدىٰ اليهود والنصارىٰ

يمكن أن يقارن أدنى مقارنة بالقرآن أو بالسنة التي تلقتها الأمة من رسول الله - ﷺ - حتى السيرة النبوية . وذلك لانعدام السند عندهم وعدم المعرفة التامة بكاتبي الأسفار وتاريخ التدوين كما سنرى .

* * *

انسجام معاني القرآن وتناسق مبانيه

القرآن كتاب أحكمت آياته ، وأتقنت فصوله ، واتفقت مبانيه ، وائتلفت معانيه ، ليس فيه اختلاف ولا تناقض جمع الله به الشمل ورسم منهاج الحياة الرشيدة التي يصلح فيها أمر الدين والدنيا معًا . ما من فضيلة إلا دعا إليها وحضّ عليها ، وما من رذيلة إلا حذر منها ونهى عن قربها . وهو معجز بلفظه ومعناه .

أما الإعجاز اللغوي فهو كامن في كلماته وتراكيبه وأسلوبه وفصاحته ؛ تحدى العرب الفصحاء الذين هم غاية في البيان فعجزوا عن معارضته والإتيان بسورة من مثله .

وأما إعجازه المعنوي فوجوهه كثيرة . لأن القرآن الكريم اشتمل على أنواع كثيرة من العلوم الكلية والجزئية ، كما نبه على طرق الحجج العقلية بشكل لم يعهد مثله فيما قبله من الكتب .. والعلوم نوعان ؛ دينية محضة وغير ذلك .

- فالدينية المحضة أتى منها في علم العقيدة بمعرفة الله

وأسمائه وصفاته ، وأخبر عن الملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر ، كما أخبر عن المعاد والحساب والجنة والنار وغير ذلك . ليس في غيره من الكتب السماوية المتقدمة من خبر عن ذلك إلا زاده بيانًا وتفصيلاً ، فأتىٰ به على أكمل وجه ، حتى إنه أخبر عن أشياء ليس لها وجود في غيره . جادل المكذبين والمعاندين بأنواع من الحجج والبراهين والدلائل اليقينية والأقيسة العقلية والأمثلة المضروبة . وأتى في علم الأعمال والتكاليف بما لم يأت به غيره من تكاليف تتعلق بالظاهر والباطن .

- والعلوم غير الدينية المحضة نوعان : تشريعية وتجريبية .

ففي العلوم التشريعية أتىٰ بتشريع عادل كامل شامل صالح لكل زمان ومكان ، جمع بين المثالية والواقعية من غير أن تطغىٰ واحدة منها على الأخرىٰ ، وخاطب الظاهر والباطن .

وفي العلوم التجريبية بيّن أن الله سَخّر الكون للإنسان وأمره بالنظر في الأرض والسماء لاستنتاج العبر والفوائد .

ويكفينا في ذلك شهادة الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي حيث قال [١] : « إن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظاهرات الطبيعية . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعتُ أن أحقق قائمة ، أدركتُ بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي علىٰ أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث . أما بالنسبة للعهد القديم ، ففي سفر التكوين مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث » . وقال أيضًا [٢] : « إن القرآن لا يحتوي علىٰ آية دعوىٰ علمية غير مقبولة . وهذه الملاحظة تدحض فرض الذين يرَوْن في محمد مؤلفًا للقرآن . كيف يمكن لإنسان كان أميًا ، ثم أصبح بعد ذلك سيد الأدب العربي علىٰ الإطلاق أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي ، لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يُكَوّنها ؟! وذلك بدون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة ! » .

---

(١) انظر كتابه : دراسة ص ١٣ ـ ١٤ .

(٢) دراسة لموريس ص ١٥٠ .

ادعاء أهل الكتاب ومناقشته :

الانطباع السائد لدى اليهود والنصارى أن محمدًا - ﷺ - كتب أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة والإنجيل ، فهو لم يفعل أكثر من النقل عنهما . ويستدلون على ذلك بإخباره عن حوادث وقصص ماضية مذكورة في الكتاب المقدس بعهديه .

وإخباره - ﷺ - عن الأمم الهالكة والقرون الغابرة لا يعدو أحد احتمالات ثلاثة :

١ - إما أن يكون كاذبًا فيما أخبر به ، وقد نسجه من خياله .

٢ - وإما أن يكون تعلمه من بشر وصل إليه عن طريق نبي من الأنبياء . وهذا المعلم إما أن يكون من قومه أو من غيرهم من أهل الكتاب .

٣ - وإما أن يكون وحيًا أوحاه الله إليه . فهو نبي مرسل .

مناقشة الاحتمال الأول :

مما يستدل به على صدق محمد - ﷺ - فيما أخبر به من حوادث وقصص ماضية بما يلي :

ا - تصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ؛ فإخباره بمثل ما أخبرت الأنبياء به من قبل يدل على أنه لم ينسجه من خياله . كما يدل على صدق الأنبياء السابقين ، لأنه يمتنع في العادة الاتفاق على ذلك إلا بتواطؤ . والتواطؤ مستحيل لبعد الزمان والمكان .

ب - أخبر الأنبياء السابقون أن المتنبئ الكذاب لا يؤيد ، ولا يتم أمره ، بل مصيره القتل ، كما في سفر التثنية ١٨ / ٢٠ ، وقد ادعى النبوة أشخاص فكان مصيرهم القتل كمسيلمة الحنفي وطليحة الأسدي وبابا الرومي . أما محمد - ﷺ - فقد أيده الله ونصره نصرًا عزيزًا على المشركين وسائر الكفرة ، ثم أظهر أمته من بعده على سائر الأمم [1] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ / ٢٢ و٤١ و٥٤، ١ / ١٤١ .

مناقشة الاحتمال الثاني :

وبما يستدل به على أنه لم يتعلمه من بشر ما يلي :

أ ـ من الثابت تاريخيًا ، بل قد نقل بالتواتر أن محمدًا ـ ﷺ ـ كان أميًا لا يعرف الكتابة ولا القراءة باللغة العربية فضلاً عن أن يحسن لغة غيرها ، أو يشتغل بمدارسة العلماء . قال سبحانه : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ (العنكبوت : ٤٨) أي لارتاب المبطلون من أهل الكتاب فقالوا : إن النبي الذي نجده في كتبنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولارتاب أيضًا مشركو العرب فقالوا : لعله تعلمه من غيره وكتبه بيده . بل لو كان غير أمي لكذبه قومه الذين نشأ بينهم ، وفي مقدمتهم أصحابه الذين آمنوا به .

ومن الجدير بالذكر أن العهد القديم ـ أي التوراة وسائر أسفار الأنبياء ـ لم يكن ترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت . وأول ترجمة إلى العربية جرت في أوائل العصر العباسي أو عند منصرم العصر الأموي . وليس ثمة قرائن تدل

على وجود ترجمة عربية سابقة لظهور الإسلام كما ذكرت الموسوعة البريطانية [1] .

ب ـ قد علم بالتواتر أن أهل مكة وغيرهم من مشركي العرب لم يكونوا يعرفون هذه العلوم والقصص ولا أمثالها ؛ فقد كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الأمم وعلوم الشرائع والفلسفة وسائر العلوم العقلية . قَلَّ فيهم من يحسن القراءة والكتابة قال سبحانه : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ (الجمعة : ٢) أي بعث في الأميين رسولا أميًا مثلهم يتلو عليهم آياته ـ حتى إن مكة لم يكن فيها مدرسة ولا كتاب مدون . فما جاء به محمد ـ ﷺ ـ من الدين الكامل والتشريع العادل الشامل وغير ذلك من آيات الله والحكمة والقصص وبيان ما في الصحف الأولى لا يمكن أن يكون مكتسبًا من غيره ، ولا مستنبطًا من فكره ، بل إنما هو محض وحي من رب

(١) ٢ / ٨٨٩ انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٦ .

العالمين . قال سبحانه : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (هود : ٤٩) .

جـ - إن أخبار محمد - ﷺ - منذ ولد إلى أن بعثه الله رسولاً ثم توفاه مستفيضة متواترة ، وقد علم بالتواتر أنه ولد في مكة ونشأ بها بعد أن كان مسترضعًا في بني سعد بن بكر . وكانت مكة من الصغر بحيث يعرف أهلها أخبار بعضهم معرفة تامة . وهم يعلمون حق العلم أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا من غيرهم ، ولم يجتمع بأحد من علماء أهل الكتاب ممن يعرف اللغة العربية . لأنهم متأكدون من أنه لم يغادر مكة قبل البعثة إلا مرتين تحت سمعهم وبصرهم : مرة وهو صغير يقارب عمره اثني عشر عامًا مع عمه أبي طالب في نفر من قريش ، لم يفارقه فيها حتى رآه الراهب بحيرا ، فعرفه من صفاته ، وألح على عمه أن يرده إلى مكة مخافة أن تعرفه يهود كما عرفه ، فرده عمه . وأخرى وهو شاب مع ركب من قريش في تجارة لم يفارقهم فيها أيضًا ، ولا خلا أو اجتمع بأحد دونهم .

ومن حكمة الله أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ، لا من اليهود ولا من النصارىٰ ، بل كان المشركون في أول الأمر يرسلون إلىٰ البلاد التي فيها علماء من أهل الكتاب ، يسألونهم عن أمر محمد - ﷺ - فيرسل اليهود إليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته .

إن قومه كانوا أشد الناس عداوة له ، وأحرصهم على تكذيبه ، وأكثرهم بحثًا عما يقدحون فيه بنبوته . فلو أنه تعلم من بشر لعلموا بذلك وطعنوا فيه وأظهروه ، فإنهم كانوا أعرف الناس بحاله ، ومع كمال علمهم بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع أن لا يظهر ذلك منهم ، ولو ظهر لتناقلته الناس حتى يصل إلينا ؛ لأنه من أعظم ما تتوفر الدواعي على نقله وإشاعته .

د - لو أنه تعلم هذه القصص والعلوم من أهل الكتاب مع عداوتهم له ، وظهوره عليهم فيما بعد لأخبروا بذلك وأظهروه ، ولو فعلوا لنقل إلينا وعرفناه .

ولما هاجر النبي - ﷺ - إلى المدينة المنورة كانت العداوة

متأججة بينه وبين اليهود الذين كانوا يسكنون فيها ، فكانوا يسألونه تعجيزًا عن الغيوب التي لا يعلمها إلا نبي - وهي غير المسائل التي كانوا يرسلون بها إليه وهو في مكة - فيتلو عليهم ما يوحيه إليه ربه ، فآمنت طائفة منهم وكفرت طائفة . والطائفتان ليس فيهم من يقول : إن هذا تعلمه منا أو من نظرائنا ، أو قرأه في كتبنا ، مع أنه لو تعلمه منهم لكانوا أساتذته ، ولامتنع أن يصدقوه ظاهرًا وباطنًا ، ولاسيا وهو يفعل فيهم ما يفعل نتيجة لغدرهم وعدم وفائهم . ومن أسلم منهم ، فإنه كان يقبل على المقاطعة والحرمان .

هـ - لو أنه تعلم من غيره لكان لابد أن يعرفه ولو خواص الناس ، وبالتالي لا بد أن يفشو ويشيع حتى لو تواصوا بكتمانه عن طريق الترغيب والترهيب ، ولكان خواص أصحابه يعلمون في الباطن أنه كذاب وإن صدقوه ظاهرًا ، مع أن الوقائع تثبت أن تصديقهم الظاهر والباطن له بلغ حد العجب لدىٰ المشركين ، وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة له وفداء . مع أنهم لاقوا باتباعه الحرمان والأذىٰ . ثم إن الصحابة - رضي الله عنهم - وقع بينهم اختلاف

بعد وفاة رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئًا من هذا القبيل البتة .

و ـ إن محمدًا ـ ﷺ ـ أُنزل عليه في القرآن من القصص والأخبار ما لا يوجد عند أهل الكتاب كقصة هود وصالح وشعيب وما جرى لهم مع أقوامهم عاد وثمود وغيرهما . وقد أنكر بعض المستشرقين اعتسافًا وجود هذه الأقوام والكوارث التي أصابتهم . غير أنه تبين أن عادًا وثمود مذكورتان في تاريخ بطليموس ، وأن اسم عاد مقرون باسم إرم في كتاب اليونان ، (أُدراميت) ويؤيد ذلك تسمية القرآن لها ﴿ .. بعاد * إرم ذات العماد ﴾ (الفجر : ٦ ، ٧) . كما عثر المنقب التشيكي صاحب كتاب (الحجاز الشمالي) على آثار هيكل عند (مدين) منقوش عليه كتابة بالنبطية ، وفيه إشارة إلى قبائل ثمود[1] .

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لا يسرد القصة كما جاءت في أسفار أهل الكتاب ، بل يزيد عليها أمورًا يجهلها أهل الكتاب ، ويصحح لهم كثيرًا من الأخطاء .

---

(١) انظر مطلع النور لعباس محمود العقاد ص ٧٤ .

فمما لم يكن يعلمه أهل الكتاب ولم يذكر في كتبهم : قصة ابن نوح وكفره وغرقه بالطوفان ، واضرام النار لإحراق إبراهيم وحفظ الله له ، وإيمان امرأة فرعون وإنجاء جسده بعد موته غرقًا ، وتكليم المسيح ـ عليه السلام ـ للناس في المهد ، وإنزال المائدة على الحواريين وغير ذلك مما لا يعرفه أهل الكتاب .

ومما صححه لهم من معلومات مغلوطة : أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل في غياب موسى هو السامري ، وليس هارون ، وأن هارون نصحهم ، لكنهم أصروا على فعلتهم . ومن ذلك نفي رؤية موسىٰ لذات الله جل جلاله وتقرير عدم إمكان الرؤية في الدنيا مع أن أسفارهم تنص على أن موسىٰ وهارون وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله . ومن ذلك أيضًا نفي القتل أو الصلب عن المسيح ـ عليه السلام ـ وتقرير أن الذي صلب إنما هو من شبه لهم .

ولو أن محمدًا ـ ﷺ ـ تعلم من أهل الكتاب لما زاد هذه الزيادات ، ولما خطأهم في بعض ما ذكروه ، بل كان يوافقهم

فيما قالوا له ويجمل القصة إجمالاً ، حتى لا يفتح على نفسه باب معارضتهم ، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم على فعل يمنعه من مطلوبه ، ويبطل مقصوده [١] .

هذا وقد قام الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي بعمل مقارنة بين الروايات القرآنية وروايات التوراة فيما يختص بهذا الموضوع ، فتبين له أن الآيات القرآنية لا صلة لها البتة بالعهد القديم ، ولا علاقة لها إطلاقا بتلك الأوهام التي يبرزها المعلقون على التوراة كالأب كوروايبه [٢] .

وصفوة القول : إن من يتعلم من غيره إما أن يأخذه تلقينًا وحفظًا ، أو من كتابه ، ومحمد - ﷺ - لم يتعلم شيئًا من أحد بشهادة قومه المعادين له ؛ لأن قومه لا يعلمون تلك العلوم والأخبار التي ذكرها ، وهو لم يعاشر إلا قومه ، والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو

---

(١) انظر هذه المناقشات في : الجواب الصحيح ١ / ٤١ و١٤١ و٣ / ٢٤ - ٢٥ و٢٩ - ٣٠ و٢٦٢ و٤ / ٢٢ - ٢٣ و٢٥ و٣٤ و٤١ و٥٤ - ٥٥ و٥٧ ، إظهار الحق٢ / ٥١ - ٥٢ ، الكشاف ٢ / ٤٩٨ .

(٢) انظر ص ٤٠ - ٥٤ و٢٤٤ - ٢٨٦ .

أمي لا يقرأ ولا يكتب كما سلف ، فلم يبق إلا أن يكون علمه عن وحي أوحاه الله إليه . ومن ثم تكون حجة صدقه ونبوته قائمة على كل من يبلغه أمره .

* * *

الكتاب المقدس
لدىٰ أهل الكتاب
The Bible

تعريفه :

يعتقد النصارىٰ أن كتابهم المقدس هو مجموعة الأسفار الإلهية التي كتبت بإلهام الروح القدس خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى آخر القرن الأول بعده .

أقسامه :

ويقسم إلى قسمين كبيرين رئيسيين هما : .

ا ـ العهد القديم . ويطلقون عليه مجازًا التوراة .

ب ـ العهد الجديد . ويطلقون عليه مجازًا الإنجيل .

وأساس هذا التقسيم بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ فما كان من الأسفار قبلها ، فهو العهد القديم ، وما كان بعدها فهو

العهد الجديد .

أ ـ العهد القديم

تعريفه :

يزعم النصارى أن هذا القسم وصل إليهم بوساطة الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ . ويعرفون منه أخبار العالم في عصوره القديمة وشرائع اليهود الدينية والاجتماعية ، ويقتبسون منه الأدعية المتوارثة والمواعظ والشعر والحكمة وغير ذلك . كما يعرفون منه البشارات بالأنبياء اللاحقين .

أسفاره :

اختلف أهل الكتاب في أسفار العهد القديم : قبولاً وردًا في بعضها ، وتقسيمًا وترتيبًا وتسمية في بعض آخر :

١ ـ فاليهود العبرانيون اعتمدوا أربعة وعشرين سفرًا ، اعتقدوا أنها مقدسة ـ أي موحى بها ـ . وهم يقسمونها من حيث الأسلوب والصفات الخارجية إلى ثلاثة أقسام :

ا ـ أسفار الشريعة (Pentateuch) أو كتب موسىٰ الخمسة . وتسمىٰ التوراة .

ب ـ أسفار الأنبياء .

جـ ـ أسفار الكتبة أو الكتب . وتتألف من القصائد الدينية وكتب الحكمة .

٢ ـ واليهود السامريون لهم توراة خاصة بهم ، تعرف بالتوراة السامرية . وهي لا تحتوي إلا علىٰ الأسفار الخمسة . لأنهم يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعد موسىٰ ويوشع ، ويتهمون العبرانيين بالوضع والتحريف .

وبعض السامريين يضيف إليها سفري يوشع والقضاة . ويرون في هذه السبعة كتابهم المقدس .

٣ ـ والنصارىٰ البروتستانت اعتمدوا الأسفار المعترف بها لدىٰ اليهود ، غير أنهم يختلفون معهم في التقسيم والترتيب . فاليهود جعلوها أربعة وعشرين سفرًا . والبروتستانت وزعوها بحسب الأسماء ، فأصبحت تسعة وثلاثين سفرًا .

٤ ـ أما الكاثوليك والأرثوذكس ، فقد أضافوا إليها سبعة أخرىٰ ، فغدت ستة وأربعين سفرًا . وهم يختلفون مع البروتستانت في تقسيم وترتيب وتسمية بعض الأسفار . وثمة سفر آخر منسوب إلى عزرا لا يعترف به الكاثوليك والبروتستانت ، ويراه الأرثوذكس واجب التسليم .

ب ـ العهد الجديد

تعريفه :

يزعم النصارىٰ أن هذا القسم كتب بإلهام الروح القدس الذي حلَّ في التلاميذ بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ كما سيأتي . وقد استقر رأيهم في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي علىٰ اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من الأسفار التي اختلفوا فيها . وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) . ويعتقدون أن الوحي إنما هو في معانيها دون ألفاظها .

أقسامه :

يقسم العهد الجديد من حيث الترتيب التقليدي لأسفاره إلى خمسة أقسام هي :

١ ـ مجموعة الأناجيل : وهي أهم المجموعات في نظرهم ، لأنها تروي سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ وتعاليمه .

والأناجيل التي يعترفون بها أربعة وهي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

٢ ـ سفر الأعمال : وهو منسوب إلى لوقا .

٣ ـ مجموعة رسائل بولس : وعددها أربع عشرة رسالة .

٤ ـ مجموعة الرسائل الكاثوليكية : وعددها سبع .

٥ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي ، أو السفر النبوي .

وسيقتصر بحثنا في هذه العجالة على التوراة والإنجيل لأنها الأساسيان في العهدين .

* * *

لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها

لم يتكفل الله سبحانه بحفظ الكتب السماوية المتقدمة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم . بل وَكَّلَ حفظ كل كتاب إلى علماء الأمة التي أنزله عليها . ولذلك كانت تلك الكتب عُرضة للتحريف والضياع ، ولاسيما إذا مرت تلك الأمة بنكبات واضطهادات ، لوحقت فيها العلماء فقُتلت ، وتُتبعت الكتب فأتلفت . وهذا ما حدث للكتابين اللذين أنزلهما الله على بني إسرائيل ، ألا وهما التوراة والإنجيل . وسنبحث الآن المراحل التاريخية التي مرت بها التوراة كما يذكرها العهد القديم (١) .

والتوراة كلمة عبرية معناها : التعليم أو الشريعة . كما تأتي أيضًا بمعنى الناموس أو الهدى . وهي في اصطلاح أهل الكتاب : خمسة الأسفار التي تلقاها موسى ـ عليه السلام ـ من

---

(١) النصوص التي ستذكر مأخوذة من الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٨٤ م عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ومن التوراة السامرية التي حققها وعلق عليها أحمد محمد حجازي .

الله سبحانه في جبل سيناء بعد خروج اليهود من مصر ، ثم ألحق بها أسفار الأنبياء .

التوراة في عهد موسى ويوشع :

أمر الله سبحانه موسىٰ - ﷺ - أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لوحَي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليم بني إسرائيل - سفر الخروج ٢٤ / ١٢ .

وأمره أيضًا أن يأمر بني إسرائيل فيصنعوا تابوتًا من خشب السَّنْط ، بين لهم أوصافه . ليضع فيه موسىٰ - عليه السلام - الشهادة التي سيعطيه الله إياها- خروج ٢٥ / ١٠ - ٢١ -.

كما أمره أن يقرب أخاه هارون - عليه السلام - وبنيه من بين بني إسرئيل ليكونوا كهنة لله . وأمره أن يصنع لهم ثيابًا خاصة مقدسة وصفها له - خروج ٢٨ / ١ - ٢ .

نزل موسىٰ من الجبل ، ولوحا الشهادة ، المكتوب عليهما كلمات العهد - أي الوصايا العشر - في يده - خروج ٣٤ / ٢٩ - .

وفعل موسىٰ كل ما أمره الرب به ـ أخذ الشهادة وجعلها في التابوت ـ خروج ٤٠ / ١٦ و٢١ ـ وكتب موسى هذه التوراة ، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون شاهدًا عليكم . وأمرهم بإخراجها كل سبع سنين في عيد المظال لتلاوتها على بني إسرائيل بعد أن يجتمع رجالهم ونساؤهم وأطفالهم ، حتى الغريب الذي في ديارهم ـ سفر التثنية ٣١ / ٩ ـ ١٣ ، و٢٤ ـ ٢٦ ـ .

وهكذا صان موسىٰ ـ عليه السلام ـ التوراة عن سائر بني إسرائيل ، ولم يبثّها فيهم خوفًا من اختلافهم بعده في تأويلها . الأمر الذي يؤدي إلى انقسامهم . ولم يُبد لهم منها إلا سورة صغيرة أو نصف سورة . وقال الله لموسىٰ : فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد ، وعلّم بني إسرائيل إياه ، ضعه في أفواههم لكي يكون لي هذا النشيد شاهدًا على بني إسرائيل ـ تثنية ٣١ / ١٩ ـ .

وبعد وفاة موسىٰ ـ عليه السلام ـ خلفه يوشع بن نون في قيادة الشعب ، فاستولىٰ على فلسطين ، وقسمها بين الأسباط

ماعدا سبط لاوي الذي اختص بالخدمة الدينية ، واختص منه أبناء هارون بالكهنوت . فلم يفرز لهم يوشع نصيبًا مستقلاً من الأرض ، بل أعطاهم بعض المدن من نصيب كل سبط ليسكنوا فيها ، ويقوموا بالخدمة الدينية لدى الأسباط جميعًا .

إذًا فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها . ولم تكن كلها محفوظة على ألسنتهم . بل كان كل واحد منهم يحفظ فصلاً منها [1] .

التوراة إبان حكم القضاة :

وبعد موت يوشع ظل الشعب بأسباطه مقيمًا في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة بهم وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه . لكن قام من بعده جيل آخر لم يعرف الرب ، بل عمل الشر وعبد آلهة الشعوب الذين حوله . فسلّط الله عليهم أعداءهم فنهبوهم .

---

(١) انظر سفر يشوع ، هداية الحيارى ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ، إظهار الحق ١ / ٣٢٣ ، الأجوبة الفاخرة ص ٧٨ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٢ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٨ و٧٥ ، تقديم التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٥ ، اليهود لزكي شنودة ص ٤٧ و٥٧ ـ ٥٨ .

ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضاة ، فخلصوهم من يد ناهبيهم ـ سفر القضاة ٢ / ٨ ـ ١٦ ـ .

وفي إحدى المعارك التي جرت بين الفلسطينيين وبني إسرائيل هرب بنو إسرائيل وكانت الضربة عظيمة ، فسقط منهم ثلاثون ألفًا ، وأخذ الفلسطينيون منهم تابوت عهد الرب ـ سفر صموئيل الأول ٤ / ١٠ ـ ١١ .

أما عودة التابوت فعجيبة جدًا كما يقصها السفر : فقد أدخل الفلسطينيون التابوت إلى بيت إلههم (داجون) وأقاموا بقربه ، وفي الصباح وجدوا (داجون) ساقطًا على وجهه أمام التابوت فأقاموه مكانه . وفي صباح اليوم التالي وجدوه كذلك. وقد قطعت رأسه ويداه . ثم أصيب أهل تلك المدينة بالبواسير . وتدافعت مدن الفلسطينيين حفظ التابوت إلى أن قرروا إعادته مع كمية من الذهب بعد سبعة أشهر ـ صموئيل ٥ ، ٦ / ١ ـ ٤ .

لكن ماذا حل بالتوراة التي بداخله ؟ لم يتعرض السفر لذلك . فهل عدم تعرضه ناتج عن أنه من البديهي أن تكون

التوراة عادت مع التابوت سالمة غانمة ، أو أنه من البديهي أن تكون قد أُخرجت من الصندوق وأُتلفت ؟!

التوراة إبان حكم الملوك :

أمام خطر الفلسطينيين اجتمع شيوخ بني إسرائيل وطلبوا من القاضي صموئيل أن يجعل لهم ملكًا يحارب . فاختار لهم شاؤل بن قيس من سبط بنيامين ـ وهو الذي يسميه القرآن طالوت ـ فقادهم بشجاعة في الحروب ـ صموئيل ٨ ، ٩ ، ١٠ ـ .

وبعد موت شاؤل استقر الأمر لداود ـ عليه السلام ـ فحارب الفلسطينيين وفتح أهم مدنهم أورسالم أي القدس ، ثم اتخذها عاصمة له . كان التابوت في قرية يعاريم على أكمة منها ـ صموئيل الأول ٧ / ١ ـ ولما فتح داود القدس نقله إليها في احتفال بهيج ، حيث أقام له خيمة هناك ، وعيّن اللاويّين لخدمته ـ صموئيل الثاني / ٦ ـ .

وورث سليمان داود ، فبنى الهيكل ، وبنى بداخله المحراب ـ أي قدس الأقداس ـ وهيأ مكانًا في وسط البيت ليضع فيه التابوت ـ صموئيل الثاني ٢٩ / ٢٣ ـ ٢٥ ، وسفر الملوك الأول

٢ / ١٢ ، ٦ / ١٤ ـ ٣٥ ، ٧ .

وجمع سليمان شيوخ إسرائيل في العيد لوضع التابوت في المحراب . وفُتح التابوت بعد وضعه في مكانه ، وكانت المفاجأة : ليس في التابوت إلا لوحا الحجر ـ الملوك الأول ٨ / ١ ـ ١١ . وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة ، ولا يُعلم جزمًا متى ضاعت : هل مزقها الفلسطينيون ثم أعادوا التابوت فارغًا ؟ أو أنها فقدت خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة حين انحرف الشعب عن أوامر الله وظهر في بني إسرائيل الكفر والارتداد وعبادة الأصنام وقتل الأنبياء [1] .

التوراة إبان الانقسام :

تحسنت أحوال اليهود إبان حكم داود وفي صدر حكم ابنه سليمان ـ كما تقول أسفارهم ـ ثم ارتد سليمان ـ على حدّ زعمهم ـ في آخر عمره بترغيب من أزواجه ، وعبد الأصنام وبنى لها المعابد . وإن الباحث ليتساءل : إذا صار سليمان وثنيًّا

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٣ ، اليهود لزكي شنودة ص ٦١ و٧٩ و٩٠ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٣ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٧٧ ـ ٧٩ .

مرتدًّا ، فما غرضه بالتوراة إن كانت باقية ؟!

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى مملكتين : جنوبية اسمها يهوذا ، وقد بقي الملك فيها في بيت داود إلى نهايتها . وشمالية اسمها إسرائيل ، وقد تنقل الملك فيها بين بيوتات مختلفة [1] ـ سفر الملوك الأول ١٢ / ٢١ ـ .

وحدث خلال ذلك أحداث عجيبة ؛ فقد عكف معظم بني إسرائيل مع ملوكهم على عبادة الأصنام وترك أحكام التوراة مددًا طويلة وأعصارًا متصلة . وكانت الأنبياء تترى إليهم ، ولكن هيهات ، كفر مستمر وقتل للأنبياء [2] .

سقوط دولة إسرائيل :

كان الكفر والارتداد في مملكة إسرائيل أشدّ منه في مملكة يهوذا . ولذلك هاجر الكهنة ومن بقي معهم إلى مملكة يهوذا .

وسلط الله أعداء بني إسرائيل عليهم ؛ ففي عام ٧٢١

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٣ ، اليهود لزكي ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الشرائع الدينية ص ٦٣ ـ ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) اليهود لزكي ص ١٠١ وانظر ص ٦١ وص ٧٩ .

ق . م أغار ملك آشور (شلمناصر) على عاصمة إسرائيل وحاصرها ، ثم دكها دكًّا . ثم جاء خليفته (سرجون) فأسر شعب إسرائيل ، وأجلاهم عن بلادهم ، وفرقهم في مملكته ، وأسكن بدلاً منهم وثنيين من بابل وغيرها . ولم يبق من اليهود إلا شرذمة قليلة اختلطت بالوثنيين ، فتزاوجوا وتوالدوا .

فمنذ قيام دولة إسرائيل إلى أن محتْها يد الأسر الأشوري ، وأزالت شعبها من الوجود ، لم يكن للأسباط الذين فيها غرض بالتوراة . وكان وجودها في تلك الدولة أندر من الكبريت الأحمر [١] .

العثور على التوراة قبيل سقوط مملكة يهوذا :

جلس على حكم يهوذا بعد موت سليمان أكثر من عشرين ملكًا كان المرتدون منهم أكثر ممن يعترف بالدين ، حتى غدا

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٤ ، اليهود لزكي ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٨٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٨٦ وص ٧٩ ـ ٨٠ .

أهـل المملكــة وثنيين ، ووُضِعت الأصنــام حتى في البيت المقدس ، وبُنيت لها المذابح . فضاعت التوراة وأصبحت نسيًا منسيًّا[١] ـ سفر الملوك الثاني ٢١ وسفر أخبار الأيام الثـاني ٣٣ .

وآل الأمر إلى الملـك يوشيـا بن آمون ، وكان فتى طيبًا ، فتـاب إلى الله ، واتجـه إلى نشر الإيمـان : فرمم الهيكل وأزال رسوم الكفر منـه ، وبحث عن التوراة ، ولكن دون جـدوى . ومضى سبعة عشر عامًا من حكمه دون أن يعثر أحد على نسخة للتوراة أو يسمع شيئًا عنها .

وفي السنـة الثـامنـة عشرة من حكمـه ادعى رئيس الكهنـة حلقيا أنه وجد سِفر شريعة الرب بيد موسى ـ أي التوراة ـ في بيت الرب بين الفِضّة التي جمعت من الشعب . وسلمـه للكاتب شوفان ليقرأه على الملك . فلمـا سمع الملـك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه [٢] ـ الملوك الثاني ٢٢ / ١ ـ ١١ وأخبار الأيام الثاني ٣٤ / ١ ـ ٢٠ .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، اليهود لزكي ص ١٠١ وص ٦١ وص ٧٩ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٣٢٥ ، تنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودي ص ٢٩ ، اليهود لزكي ص ١٠١ وص ١٠٣ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٨ .

ثم إن الملك جمع شعب يهوذا عند الهيكل وقرأ عليهم السفر ، فتعجب الناس والملك من فرط ما ارتكبه اليهود في تاريخهم من مخالفات . ثم أخبرهم عن عزمه على العمل به ـ الملوك الثاني ٢٣ / ١ ـ ٢٣ ، أخبار الأيام الثاني ٣٤ / ٢٩ ـ ٣٣ ، ٣٥ / ١ .

هذا . ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا . لأن البيت نُهِب مرتين قبل عهد الملك آخذ ، ثم جُعل بيتًا للأصنام ، وكان سدنة الأصنام يدخلون البيت كل يوم . وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون إلى البيت كل يوم مدة سبعة عشر عامًا في أثناء الترميم وبعده . فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة في البيت ، ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة رغم البحث والتفتيش . ويرى الباحثون أن حلقيا وغيره من الكهنة لما رأوا ميل الملك يوشيا إلى الدين والعمل بالتوراة ، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى الدين ، فجمعوا هذا النسخة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم دون تحرٍ خلال السبعة عشر عامًا من حكمه ، وأضافوا إليها ما يوافق رغبات اليهود من تاريخ وعقيدة وغير

ذلك . ولما انتهوا من الكتابة ، سلم حلقيا النسخة للكاتب شوفان ليسلمها للملك مدعيًا أنه عثر على التوراة [١] .

واستمر العمل بتلك التوراة ثلاثة عشر عامًا ، وهي ما تبقى من حكم يوشيا ، فما إن مات وخلفه في الحكم ابنه (يهوحاز) حتى ارتدّ وأشاع الكفر . واستمر الكفر والارتداد وقتل الأنبياء ومطاردة المصلحين في عهد إخوته وأولادهم من بعده . وطوال هذه المدة لم يكن للتوراة ذكرٌ ولا رسم ولا أثر ، وإنما كانت في التابوت عند الكاهن الأكبر . وتوالت النكبات على اليهود من قبل الشعوب المحيطة بهم ، حتى إن بختنصر ملك بابل اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات ، بسبب ما يلقاه من غدر ونقض للعهود ، إلى أن هاجمها عام ٥٨٨ ق . م فدك أسوار القدس وأحرق المدينة والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت ، وتتبع الهارونيين وسائر الكهنة ، فقتلهم على دم واحد . ثم سبى اليهود جميعًا ، فساقهم إلى بابل مقيدين بالسلاسل ، ولم يترك فيها سوى أفقر الفقراء ، وفي هذه

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٩ .

الحادثة انعدمت التوراة وسائر أسفار العهد القديم التي كانت مصنفة . واليهود والنصارى يقرون بذلك [١] ـ الملوك الثاني ٢٤ ، ٢٥ ، وأخبار الأيام الثاني ٣٦ ـ .

التوراة إبان السبي :

سقطت مملكتا اليهود ، فدالت دولتهم ، واندثرت أمتهم ؛ كان أكثرهم مشتتًا بين نهري دجلة والفرات وما حولها ، فذابوا بين تلك الشعوب ، وعبدوا آلهتهم . وكانت قلة منهم مشردة في مصر ، ولم يبق في فلسطين إلا شرذمة قليلة من المعدمين .

واستمر هذا النفي إلى عام ٥٣٨ ق . م حيث قام ملك الفرس كورش ـ كيروس الثاني ـ بالهجوم على الميديين فأخضعهم ، واستولى على آشور وبابل . ومن ثم أصبح له السلطان على فلسطين واليهود . وتودد اليهود للحكم الجديد واستعطفوه ـ وهم بارعون في ذلك ـ ثم التمسوا منه أن يسمح

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، اليهود لزكي ص ١٣٠ ـ ١٣٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٨ و٨٠ و٨٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٧٦ و٧٩ ـ ٨٠ .

لهم بالعودة إلى بلادهم وبناء هيكلهم واستئناف الحرية في ظله ، فوافق ، وعاد كثير منهم إلى فلسطين ، فأعادوا بناء المدينة والهيكل بعد إعاقات كثيرة بسبب خلافاتهم - سفر عزرا - ١ - ٦ ، وسفر نحميا ١ - ٧ ثم أقاموا الاحتفالات ، ودشنوا البيت بالقرابين ، لكن لم يضعوا فيه تابوت عهد الرب ، لأن إرمياء النبي كان قد أخذه - كما يقولون - ووضعه في إحدى مغارات جبل (نبو) في (مؤاب) مقابل (أريحا) فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه حتى اليوم . وهكذا استعاد اليهود بعض أوضاعهم ، لكنهم فقدوا استقلالهم وتابوتهم هذه المرة ، ووقعوا تحت سيطرة الفرس [1] .

وفي عهد الملك الفارسي (أرْتَخْشَشْتا) كان في بابل كاهن يهودي مقرب من الملك اسمه (عزرا بن سرايا) من سبط هارون . فطلب من الملك أن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود إلى القدس فوافق - سفر عزرا ٧ - وعاد عزرا عام ٤٥٨ ق . م ومعه عامة الشعب وقوم من الكتبة اللاويين ، وأموال

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٣٥ - ١٤٧ .

كثيرة ، ورسالة أمن وتوصية من الملك جاء فيها - كما في سفر عزرا ٧ / ٢٥ - ٢٦ - : أما أنت ياعزرا ، فحسب حكمة إلهك التي بيدك ، ضع حكامًا وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر ، من جميع من يعرف شرائع إلهك ، والذين لا يعرفون فعلموهم ، وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك ، فليقض عليه عاجلاً ، إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس اهـ .

وهكذا وضع عزرا بتأييد من الفرس نظاما للجماعة اليهودية برئاسة الكاهن الأكبر ومجلس الكهنة ، دون أن يكون لهم كيان سياسي بأي وجه . ودأب عزرا ومن معه من الكهنة على تبصير اليهود بالشريعة وتفسيرها لهم . ولذلك لقبوه بالكاهن وبالكاتب وبالوراق ، أي العالم والفقيه . وخضع لهذا النظام اليهود في الخارج ، لكنّ السامريين - وهم من بقايا مملكة إسرائيل - لم يعترفوا بهذا النظام [1] .

---

(١) الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٥ .

كتابة التوراة وجمع أسفارها من جديد :

الاعتقاد السائد لدى اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها . لكن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة ، وقد كتبها وجمعها معه قوم آخرون . فهناك في المنفى بينما كان زعماؤهم يتحرقون دون أن يستطيعوا المقاومة تفتقت عبقريتهم عن فكرتي (الشريعة والوعد) وغايتهم المحافظة على أنفسهم عرقًا متمردًا منظمًا تنظيمًا شبه عسكري ، منطويًا على نفسه غير قابل للاندماج مع غيره . ولذلك اتخذوا إجراءات صارمة ليحولوا دون انصهار اليهود مع الشعوب الأخرى ، فمنعوهم من الاختلاط والتزاوج ، بل حتى من المجالسة على الطعام مع أي غريب تحت شعار الدين وانتظار العودة [1] .

وهناك في المنفى قام أنبياؤهم أو علماؤهم ـ وأولهم حزقيال ـ فأعادوا كتابة الشريعة من جديد ، وألفوا الأسفار المعروفة بأسمائهم في العهد القديم ، ومع مرور الزمن أدخلوا

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها تعريب سهيل ديب ص ١٦ ـ ١٧ و ص ٢٠ .

عليها التعديلات والأساطير المختلفة ، وخلطوا بين أحداث وأخرى عن عمد أو بدون عمد ، إلى أن كان يوم الخلاص ، فعادوا إلى فلسطين وأعادوا النظر في دينهم وشرعهم ، فكانت اليهودية المنظمة [١] ولنستمع الآن إلى ما يقوله المحققون :

يقول العالم ول ديورانت [٢] : إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين . وقد كتب بعضه في يهوذا ، وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود . والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتاب عزرا . ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م .

ويقرر أيضًا أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل ، ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد اهـ .

وقد أعلن بحاثة يهودي أصبح أستاذ علم الاجتماع في

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٧٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ص ٨٠ ـ ٨١ و٨٧ ، التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٠ و٢٥ و٣٩ .

(٢) في قصة الحضارة ٢ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ انظر اليهودية لأحمد ص ٢٦٢ .

الجامعة العبرية في القدس : أن الأسس التاريخية لهذه العقيدة اليهودية ، قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي سنة ٤٠٠ ق . م ، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة . أي الشفوية وتلمود بابل .

وعلماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال النفي في بابل وبعده . ويجمع الباحثون والعلماء - وعلى رأسهم باحثو اليهود وعلماؤهم - على أن كتاب حزقيال وضع أولاً ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى . وذكر بعضهم أن نبوءة حزقيال الموضوعة بين السنين ٥٩٢ - ٥٧٠ ق . م كانت بداءة سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية (١) .

وجود نسختين مختلفتين للتوراة بعد العودة :

رفض السامريون - وهم من بقايا مملكة إسرائيل - أن يعترفوا بسيادة مجمع كهنة القدس ، وبالنظام الذي وضعه عزرا وغيره من أول الأمر . وفي السنة الثانية من العودة شرع اليهود

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٥ و٣٩

مسرعين في بنــاء الهيكل تحت إشراف الـوالي (زربـابـل بـن شـألتئيل) ورئيس الكهنـة (يشوع بن صـادق) فلم يلبثوا أن جاء السامريون الذين كان الآشوريون والبابليون قد استبقوهم وخلطــوهم بشعــوب أخرى ، وطلبــوا أن يشتركــوا في بنــاء الهيكل . فرفض أولئــك طلبهم ، بحجــة أنهم كانــوا أقرب إلى الوثنيين في عقـائـدهم وعـاداتهم منهم إلى اليهـود . ومن ثم راح الســامريون ينـاوئـونهم ، ويحـولـون بينهم وبين المضيّ في بنـاء الهيكل . وتفاقم الخلاف بين الجهتين ، وسكن كل منهم في مدن خاصة به . مما أدى بالسـامريين إلى مراجعـة أمورهم وانفصـالهم بتـوراة خـاصــة بهم ، لا تضم إلا الأسفــار الخمســة ، ورفضـوا ماعداها .

يقول العبرانيون : إننا على حق . ويقول السـامريون لهم : بل نحن وحدنـا على الحق ، وأنتم الـذين حرفتم وغيرتـم وزدتم وأنقصتم من كتـاب الله . كما يـدعي الســامريـون أن التـوراة العبرانية كتبها عزرا وساعده زربابل بن شألتئيل [1] .

---

(١) هـدايـة الحيـارى ص ٥٨١ ، الشرائع الـدينيـة ص ٦٥ ، اليهود لزكي ص ١٤٥ - ١٤٦ ، تقديم أحمد حجازي للتوراة السامرية ص ٦ وص ٢١ .

وهذا يعني أن توراتهم هي الحقيقية الموروثة عن موسى - عليه السلام - وليست من كتابة أحد من بعده . ولو كانت إحدى التوراتين منقولة بالتواتر ، أو كان لها على الأقل سند صحيح متصل لما ضرها وجود توراة أخرى ، كما هو الحال لدي المسلمين في نقل سنة نبيهم - ﷺ - ولكن كلتا التوراتين عارية عن شبه سند . ويظهر - والله أعلم - أن التوراتين كانتا في الأصل توراة واحدة ، كتبت في أثناء السبي ، ثم نُقحت وزيد فيها بعده . والعداء الشديد بين الطائفتين هو الذي أدى إلى وجود نسختين مختلفتين . إذ يكاد العلماء يجمعون - ولا سيما علماء اليهود - على أن التوراة جرى تأليفها في القرن السادس قبل الميلاد في أثناء سبي بابل [١] .

التوراة إبان حكم اليونان :

ظل اليهود تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين من الزمن إلى أن هزم الإسكندر الأكبر الدولة الفارسية واستولى على بلاد

---

(١) وقد حكى شبه الإجماع هذا سهيل ديب في كتابه التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٨ .

الشام عام ٣٣٢ ق . م فدان له اليهود جميعًا من عبرانيين وسامريين .

وبعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق . م تقاسم قواده الإمبراطورية بينهم ، وخضع اليهود لخلفائه من بعده .

وفي عهد أنطيوخوس الرابع بدأ اليهود يتشبهون باليونان ، ويتعودون بعاداتهم ، ويعتنقون ديانتهم . وكان منهم قوم لا يفتؤون يتزلفون إلى الملك طمعًا في المناصب والمكاسب .

ولما هاجم بطليوس السادس سورية دحره أنطيوخوس الرابع ، وتبعه إلى مصر ، فقتله هناك ، لكن أشيع العكس في القدس ، فقام رئيس الكهنة السابق (ياسون) وانقضّ على المدينة بمن معه ، فقتل الحراس ، وطفق يذبح معارضيه . وعاد أنطيوخوس الرابع بجيش ضخم ، فدخل القدس ، وأمر جنوده بقتل كل من يرونه من اليهود ، ثم اقتحم الهيكل ، فاستولى على ما فيه ، وأحرق جميع نسخ العهد القديم . ثم لم يلبث أن قرر توحيد الديانة في جميع البلاد الخاضعة لحكمه ، وإلزام شعوبها بعبادة آلهة اليونان . فأصدر أمره إلى اليهود

بالامتناع عن ممارسة العبادات والعادات اليهودية ، وأمر ببناء مذبح للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة يهودية . ومزق الجنود كل ما وجدوه من نسخ التوراة وأسفار الشريعة وأحرقوه ، وتتبعوا كل من يُخفي نسخة من العهد القديم أو يؤذي رسْمًا من رسوم الشريعة فقتلوه . وكان ينفذ ذلك علنًا في كل شهر . فلم يعد أحد يعترف بأنه يهودي أصلاً [١] ـ سفر المكابيين الأول ١ ـ .

ولا شك أن التوراة التي كتبها عزرا وغيره كانت عند كهنة اليهود ، ولم تكن عند عامتهم . وعلى أحسن تقدير ، فإن كل كاهن يحفظ قسمًا منها . وإذا كان الملك قد قتل معظم الكهنة ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من التوراة ، أو يؤدي مراسيم الشريعة ، وكان التفتيش مستمرًا ، والقتل يجري كل شهر ، واستمر الأمر على هذه الشاكلة ثلاث سنوات ونصف ـ كما هو مفصل في تاريخهم ولا سيا تاريخ

---

(١) اليهود لزكي ص ١٤٩ ـ ١٥٠ وص ١٥٢ وص ١٥٤ ـ ١٥٦ ، إظهار الحق ١ / ٣٢٧ .

يـوسيفـوس اليهـودي ـ فكيف تبقى التـوراة سليـمة بعـد هـذا كله ؟! .

الغالب أنه انعـدمت جميع النسخ التي كتبهـا عزرا وغيره . وإذا كان ثمـة نسخـة بقيت عنـد شخص مـا في بلاد اليهـود أو خارجها ، فإن بقاءها أمر احتمالي . وهبها بقيت ، فـإن مظنـة التحريف والتبديل بسبب انعدام السند عندهم [١] .

التوراة إبان حكم المكابيين :

رأى كاهن يهودي اسمه (متاثيا) رجلاً يهوديًا يقدم ذبيحة لإلـه اليونـان ، فوثب عليـه وقتلـه ، ثم قتل منـدوب الملـك ، وهرب مع أولاده إلى الجبـال . ثم لم يلبثـوا أن تبعهم عـدد من اليهود ، وأصبحوا مصدر إزعاج للحكام .

وفي عام ١٦٧ ق . م مات الكاهن فخلفه ابنـه يهوذا المسمى (مكابيـوس) . وتمكن في عـام ١٦٤ ق . م من الاستيـلاء على القـدس والوصول إلى جبل صِهْيَوْن ، فـأزالوا معـالم الـوثنيـة ،

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٧ .

وأعـدوا الهيكل للعبادة من جديد . لكنه مـازال هو وخلفـاؤه في صراع مع اليونان ثم مع الرومان .

وفي عـام ٦٣ ق . م اقتحم الرومـان القـدس ، ودخلـوا الهيكل حتى وطئـوا قـدس الأقـداس ، وأخـذوا الملـك وأولاده معهم أسرىٰ إلى روما .

ثم في ٣٧ ق . م اقتحموها ثانية بعد تمرد يهودي ، فنهبوهـا وأشاعوا فيها القتل والدمار ، بعد أن قتلوا آخر ملوك المكابيين (أنتيجوس) [١] .

ولا شـك في أن التـوراة في هـذا العهـد إنمـا هي التـوراة المظنـونـة ، أو النقـول المتبقيـة بعـد الاضطهـادات في عهـد اليونان .

التوراة إبان حكم الرومان :

انتقلت السلطة بعد مقتل (أنتيجوس) بـأمر الرومـان إلى

---

(١) اليهـود لـزكي شنـودة ص ١٥٦ ـ ١٥٩ و١٦٢ ـ ١٦٥ و١٨٦ ـ ١٨٧ و١٩٠ ، الشرائع الدينية ص ٦٥ ـ ٦٦ ، اليهودية لأحمد ص ٩٣ ـ ٩٤ .

يهودي من أصل أدومي ، اسمه (هيرودس) كان شديد الخضوع للرومان، ومع ذلك عمل كثيرًا لاسترضاء اليهود ، فبنى لهم هيكلاً على نسق هيكل سليمان ، لكنهم ظلوا على كراهيتهم له . لأنه ليس من أصل يهودي صرف . فنكل بهم أشد تنكيل .

وبعد موته وقع خلاف كبير بين أولاده ، وتظلم الشعب لدىٰ الإمبراطور الروماني منهم ، فما كان منه إلا أن عيَّن واليًا رومانيًا على اليهودية والسامرة وأدومية عام ٦ م ، فكان هذا أول حاكم روماني يتولىٰ حكم اليهودية مباشرة .

وفي سنة ٢٦ م عين الإمبراطور الروماني طيباروس حاكمًا على اليهودية اسمه (بيلاطس بونتيوس) ، وهو الذي اشتهر بلقب النبطي . وفي عهده طلب مجلس الكهنة إعدام المسيح ـ عليه السلام ـ لكن هموا بما لم ينالوا [١] .

ولم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعًا بتمرد اليهود ودسائسهم ومكرهم ، فأرسلوا إليهم عام ٧٠ م جيشًا ضخمًا بقيادة

---

(١) اليهود لزكي ص ١٩٠ ـ ١٩١ و٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٠٦ .

(فسباسيان) فحاصر القدس ، وضيق عليهم الخناق . وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش إمبراطورًا . فعاد إلى بلاده ، وخلفه في قيادة الجيش ابنه (تيطُس) فواصل الحصار حتى اقتحم المدينة ، وأشاع فيها الخراب والدمار ، وأضرم النار في الهيكل بعد أن سلب ما فيه . ثم طفق يتتبع اليهود ويذبحهم . وقد صمم على أن يفنيهم عن آخرهم .

ولما اندلعت الثورة الثانية لليهود عام ١٣٠ ـ ١٣٥ م وقضى عليها الإمبراطور الروماني (أدريانوس) أزال معالم المدينة والهيكل تمامًا ، فحرث الأرض وزرعها ، ولاحق اليهود بشدة للتخلص منهم نهائيًا . ثم أقام مكان الهيكل هيكلاً وثنيًا باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان . وبقي هذا الهيكل إلى أن دمره النصارى من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين .

وهكذا ألحق الرومان الخراب والدمار بمدن اليهود وقراهم ، بعد أن أبادوا معظمهم . ولم يبق منهم إلا عدد قليل ، هاموا على وجوههم في أنحاء الأرض ، وظلوا على مر العصور مشردين مكروهين من الناس الذين حولهم في كل أرض ، ولدى كل

جيل [١] . ولم يجدوا الأمن والراحة إلا في البلاد الإسلامية واستمروا على هذه الحال قرابة ألفي عام إلى أن ردوا الجميل للمسلمين على طريقتهم فأقاموا دولتهم إسرائيل عام ١٩٤٨ م على أشلاء شعب فلسطين المسلم . ولا يدري إلا الله متى يتحقق ما وعد الله به على لسان رسوله ﷺ فيقهرهم المسلمون ويطردونهم .

وصفوة القول :

إن اليهود قد نالهم الاضطهاد من قبل الكلدانيين والبابليين والفرس ، فاليونان فالرومان والنصارىٰ ، وما من أمة إلا وقد قصدتهم أشد القصد . واشد ذلك ما نالهم على أيدي ملوكهم العصاة المرتدين . فأي توراة تبقىٰ مع هذا كله ؟ وأي بديل لها مما كتبه عزرا وغيره يبقىٰ صحيحًا سالمًا ؟ ! .

إنه مما لا ريب فيه أن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم ، ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه

---

(١) اليهود لزكي ص ٢٠٩ ـ ٢١١ ، الشرائع الدينية ص ٦٦ ، اليهودية لأحمد ص ٩٤ .

السلام ـ قطعًا . بل إنما هي من جمع وتلفيق عزرا وغيره إبان السبي وبعده على أحسن تقدير . ثم أُلحق بها أسفارٌ خلّفها كتاب مجهولون ، عالجوا النصوص على سجيتهم ، وبحسب الظروف التي عاشوها والضرورات التي كان عليهم مواجهتها .

ولم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده ، ولا على أن تلك النصوص التي جمعها هي من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ كما أنه لم يقم دليل على أن التوراة الموجودة اليوم هي التي كتبها عزرا وغيره إبان السبي وبعده ، بدون زيادة ولا نقصان . لأنه ليس لها شبه سند ، فضلاً عن أن يكون لها سند متصل ، أو تكون منقولة بالتواتر . ولاسيا وأن أهل الكتاب لا يعتمدون على الأسانيد ولا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار ، كما هو الحال لدى المسلمين ، وما ذكر من واقع العهد القديم خير دليل على ذلك .

* * *

مدىٰ صحة العهد القديم

تبين مما سبق أن التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه السلام ـ قد ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم ، ثم ضاع بديلها في أثناء الغارات المتتالية على القدس . وأن ما يسمىٰ اليوم بالتوراة إنما هو مجموعة من القصص والروايات التي كانت مشتهرة بين اليهود ، قام أحبارهم بجمعها وكتابتها بعد موسى بزمن طويل من غير تدقيق ولا تحقيق . ويظهر ذلك من النواحي التالية :

١ ـ عدم وجود سند لأسفاره :

ليس للتوراة التي بين يدي أهل الكتاب شبه سند فضلاً عن أن تكون منقولة بالتواتر ؛ فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة ، ولم يكن حفظها غيبًا فرضًا عندهم ولا مستحبا . بل إنما كان كل واحد منهم يحفظ فصلاً منها . وهبها كانت محفوظة لدىٰ جميع الهارونيين ، فإنها قد ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم إبان عهد القضاة والملوك كما سلف . وحادثة الملك يوشيا خير دليل على ذلك . ولو سلمنا

بأنها هي فإنه لم يُعمل بها إلا مدة ثلاث عشرة سنة ، وهي الفترة المتبقية من حكمه ، أما بعد موته فلم يُعلم حالها ولا مصيرها . ولو فرض بقاؤها ، فالمقطوع به أنها انعدمت مع سائر أسفار العهد القديم في حادثة بختنصر . والتوراة التي كتبها عزرا وغيره ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ ، ولو كانت إياها لرجع إليها مباشرة ونقل منها ، ولم يخالفها ويعتمد على الأوراق الناقصة التي لم يقدر على التميز بين الغلط والصح منها . وعليه فلا تكون هذه التوراة معتمدة حتى لو كتبها عزرا . ثم ضاع أيضًا ما كتبه عزرا في حادثة أنتيوخوس الرابع ، ثم في حادثة تيطس الروماني . فلا يصح شيء من كتب العهد القديم [١] . وإليك بعض شهادات المحققين :

قرر العالم ول . ديورانت في كتابه قصة الحضارة أنه لم يبق لدينا من شريعة موسىٰ إلا الوصايا العشر [٢] .

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٨١ و٥٨٤ ، تنقيح الأبحاث ص ٢٧ و٢٩ الجواب الصحيح ٢ /١٨ ـ ١٩ ، إظهار الحق ١ / ٥٨ ـ ٥٩ و٢٢٦ و٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩ .

وقال العالم أدموند جاكوب : كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثًا شعبيًا لا سند له إلا الذاكرة ، وهي العامل الوحيد الذي اعتُمِد عليه في نقل الأفكار . وكان هذا التراث يُغنّى في مختلف المناسبات [١] .

وقال العالم الكاثوليكي جان ميلز : اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية ، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها بوساطة عزرا ضاعت تلك النقول في حادثة أنتيوخوس [٢] .

٢ ـ جهالة الكتاب الحقيقيين لأسفاره :

ظل أهل الكتاب قرونًا طويلة يعتقدون أن موسىٰ هو كاتب التوراة التي بين أيديهم . أما اليوم فقد هُجر هذا الفرض هجرًا تامًا . وعلماء اليهود والنصارىٰ في عصرنا يعترفون بأن التوراة الحالية لم يكتبها موسىٰ ، وأن ازديادًا تدريجيًا قد وقع فيها ، سببته مناسبات وملابسات دينية واجتماعية ، وضعه

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٠ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٢٩ .

كتاب عديدون بعد موسى [١] .

أما سائر الأسفار فيحمل كل سفر منها اسم أحد أنبياء بني إسرائيل ، لكن الحقيقة والواقع أن مؤلفيه الحقيقيين مجهولون ، وهم موضع تخمين يفتقر إلى التوثيق . وقد أثبتت التحقيقات والتحريات العلمية أن هذه الأسفار تنسب لأشخاص لم يكتبوها ، وأن بعض الأسفار ليس في الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكتاب ببعض الأنبياء [٢] .

٣ ـ وجود ثلاث نسخ مختلفة للعهد القديم :

ثمة ثلاث نسخ رئيسية للعهد القديم معتمدة لدى أهل الكتاب في زماننا هذا ، مع أنها مضطربة ومختلفة كما سنرى نماذج من ذلك بعد قليل ، وهذه النسخ هي :

ا ـ النسخة العبرانية : وهي المعوَّل عليها لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت .

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٧ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٢٣ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٥٩ ، دراسة لموريس ص ٢٣ ، اليهودية لأحمد ص ٢٠٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ ـ ١٣ وانظر المقدمة ص ٤ ـ ٥ .

ب ـ النسخة اليونانية : وهي المعروفة بالترجمة السبعينية . وكان النصارى إلى القرن الخامس عشر شبه مجمعين على صحتها . لأنهم يعتقدون أن اليهود حرفوا النسخة العبرانية عن قصد . ولا زالت الكنيسة اليونانية والكنائس الشرقية مجمعة على صحة الترجمة اليونانية واعتمادها إلى اليوم . أما الكنيسة الرومانية فقد اعتمدت الترجمة اللاتينية .

وجمهور علماء البروتستانت خالفوا أسلافهم فاعتمدوا النسخة العبرانية ، وقالوا في حق اليونانية ما قاله أسلافهم في حق العبرانية . أما الترجمة اللاتينية فقد أجمع علماء البروتستانت على أنها محرفة تحريفًا لم تُحرف ترجمة مثله قط ، بل قالوا : إنه قد أُدخل فيها بعض فقرات من العهد الجديد ، كما أُدخل في متنها عبارات الحواشي . ولهم على ذلك أدلة شافية [٤] .

جـ ـ النسخة السامرية : وهي المعتمدة لدى اليهود السامريين ، كما أن كثيرًا من علماء البروتستانت يعولون عليها

---

(٤) إظهار الحق ١ / ٢١٨ و٢٣٨ .

دون العبرانيـة لاعتقـادهم تحريف اليهـود للعبرانيـة ، ولهم علىٰ ذلك أدلة وافرة .

وهـذه النسخـة إنمـا تحتـوي على الأسفـار الخمسـة ، وبعض السـامريين يضيف إليهـا كتـاب يـوشع وكتـاب القضـاة ، ولا يسلمون بسائر العهد القديم [١] .

تغير موقف الكنيسة من العهد القديم على التوالي :

إن حال الأسفار المقدسـة لـدىٰ النصـارىٰ كحـال الأنظمـة والقوانين الوضعيـة ، يطرأ عليهـا تعـديل بين حين وآخر ؛ ألا ترىٰ أن الترجمة اليونانية للعهد القديم كان معترفًا بهـا إلى القرن الخامس عشر ، والنسخة العبرانية يُعتقد بتحريفها ، ثم انعكس الأمر بعد ذلك لدىٰ البروتستانت ، فصـارت المحرفـة صحيحـة والصحيحة محرفة ، وأن سفر دانيال كان معترفـا بـه لـدىٰ أسلافهم وَفق الترجمة اليونانية ، ثم حكم (أرجن) بعـدم صحتـه فتركوه وأخـذوه من ترجمـة (تهيـودوش) ، وأن كثيرًا من الكتب التي

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢١٨ و٢٣٨ وانظر ٢ / ٢٢١ ـ ٢٢٢

سلم بها أسلافهم يرونها اليوم موضوعة مكذوبة [١] .

كما أن مقدمات الكتاب المقدس كانت تسوق الأمور بشكل يختلف عن نظرة الباحثين المحققين ، فهي تسكت عن الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب ، وتحتفظ بغموض يضلل القارئ . وكانت الكنيسة الكاثوليكية حتى عام ١٩٦٢ م ، تؤكد على عقيدة الإلهام ؛ ففي مجمع الفاتيكان المنعقد في عام ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م تقرر أن الكتب القانونية التي سلمت بها الكنيسة لكلٍ من العهدين قد كُتبت بإلهام الروح القدس . غير أن الكنيسة عادت بعد نحو قرن لتواجه الحقائق وتعترف بها ، فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان المنعقد بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص العهد القديم . وبعد ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة تم قبول صيغة حظيت بأغلبية (٢٣٤٤) صوتًا ضد (٦) ستة أصوات ، وأُدرج في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم ، جاء في الفصل الرابع منها

---

(١) إظهار الحق ص ١٠٤ طبعة قطر .

وفي الصفحة (٥٣) ما يلي : « بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح ، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان . غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان »[1] .

وجاء في تقديم الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك عام ١٩٦٠ م عن أسفار موسىٰ الخمسة ما يلي : « كثير من علامات التعجب تظهر في رواية هذا الكتاب وشرائعه ، مما حث المفكرين من كاثوليك وغيرهم علىٰ التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبي ، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسىٰ ذاته كتب الأسفار الخمسة منذ قصة الخلق إلىٰ قصة الموت ، كما أنه لا يكفي أن يقال : إن موسىٰ أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة »[2] .

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٦ و٥٢ و٥٩ ـ ٦٢ ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ندوة الخرطوم .

(٢) مجلة الجامعة ندوة الخرطوم ص ١٦٠ .

اضطراب العهد القديم

لما كان العهد القديم مكونًا من مجموعة من المؤلفات المختلفة في طولها وعرضها ، والتي لا يُعرف أسماء مؤلفيها وأحوالهم على وجه راجح . بل كانوا متأخرين في الزمن كثيرًا عمن نُسبت إليهم - كما قرر الباحثون - وقد كتبت على مدى يربو على تسعة قرون بلغات مختلفة اعتمادًا على التراث المنقول شفويًا من غير تدقيق ولا تمحيص ، بل بتغيير وتبديل ، فمن الطبيعي أن تكون مضطربة في نصوصها متضاربة في أقوالها ، تجد العيون فيها أمورًا غير مقبولة ، وإليكم نماذج من ذلك :

نماذج من الفروق بين النسخ الثلاث للتوراة :

١ - من تتبع الأرقام وعدد السنين في النسخ الثلاث ، وجد أن مدة الزمان منذ أن خلق الله آدم إلى طوفان نوح في العبرانية (١٦٥٦) سنة ، وفي اليونانية (٢٢٦٢) سنة ، وفي السامرية (١٣٠٧) سنة .

ولما كان هذا اختلافًا فاحشًا ، فإن المؤرخ اليهودي الشهير

يـوسفيس لم يعتمـد على نسخـة منهـا ، وقرر أن المـدة هي (٢٢٥٦) سنة [١] .

٢ ـ إن مـدة الـزمـان من الطـوفـان إلى ولادة إبراهيم في العبرانيـة (٢٩٢) سنـة ، وفي اليـونـانيـة (١٠٧٢) سنـة ، وفي السامرية (٩٤٢) سنة .

ولـذلـك نبـذ المؤرخـون ثـلاث النسـخ وراءهم ظهريًّـا ، وقرروا أن مدة الزمان في هذه الفترة هي (٣٥٢) سنـة . أمـا المؤرخ يوسفيس فقرر أنها (٩٩٣) سنة [٢] .

٣ ـ إن مـدة الزمـان من خلـق آدم إلى ولادة المسيـح على وفق ما ذكرت العبرانية (٤٠٠٤) سنة ، وعلى وفق مـا ذكرت اليـونـانيـة (٥٨٧٢) سنـة ، وعلى وفـق مـا ذكرت السـامريـة (٤٧٠٠) سنة . فأين الوحي والإلهام ؟! [٣]

٤ ـ جاء في سفر الخروج ١٢ / ٤٠ من النسخـة العبرانيـة :

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢١٨ ـ ٢١٩ و٢ / ٧٩ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢١٩ ـ ٢٢٠ و٢ / ٧٩ .

(٣) إظهار الحق ٢ / ٨٠ .

« وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر ، فكانت (٤٣٠) سنة » .

وجاء في السامرية واليونانية : « وسكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وفي أرض مصر (٤٣٠) سنة » . فزاد هنا أرض كنعان وأبقى العدد نفسه [١] ؟! .

٥ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٩ / ٣٥ من النسخة العبرانية : « وكان اسم أخته معكة » . وفي اليونانية واللاتينية والسريانية : « زوجته معكة ».

٦ ـ جاء في النسخة العبرانية من سفر أخبار الأيام الثاني ٢٨ / ١٩ : « لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل .. » . وفي النسخة اليونانية واللاتينية : « بسبب آحاز ملك يهوذا » .

وهذا هو الصواب لأن آحاز كان ملكًا على يهوذا ، لا على إسرائيل [٢] .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٥ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٥٥ .

نماذج من التناقض والأغلاط في الأسفار الخمسة :

١ ـ جاء في سفر التكوين ٤ / ٢ : أن هابيل بن آدم كان راعي غنم . ثم جاء بعد ذلك في ٤ / ١٩ ـ ٢٠ من السفر نفسه أن يابال ـ وهو في العقب السابع من آدم ـ كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام . فمن الراعي الأول ؟! .

٢ ـ جاء في سفر التكوين ٦ / ٣ : أن الله قد غضب في زمن نوح على النوع الإنساني ، فجعل أعمار البشر لا تتجاوز (١٢٠) سنة . ثم جاء بعد ذلك في ١١ / ١٠ من السفر نفسه : أن سام بن حام عاش (٦٠٠) سنة ، وأرفكشاد بن سام عاش (٤٣٨) سنة ، وشالح بن أرفكشاد عاش (٤٣٣) سنة ، وعابر بن شالح (٤٠٤) ، وفالح بن عابر (٢٣٩) سنة ، ورعو بن فالح (٢٣٩) سنة ، وسروح بن رعو (٢٣٠) سنة ، وناحور بن سروح (١٤٨) سنة ، وتارح ابن ناحور (٢٥٠) سنة .

فهل هي غفلة من الكاتب عما أورده غيره أو أن كل شيء وضع وحده ثم تم الجمع ؟ .

٣ ـ جاء في سفر التثنية ٢٣ / ٢ : « لا يدخل ابن زنىً في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب » .

وجاء في الباب (٣٨) من السفر نفسه : أن فارض ابن زنىً ، وأن داود هو البطن العاشر من فارض .

ويظهر هذا أيضًا في سرد نسب يوسف النجار في إنجيلي متى ولوقا . فكيف دخل داود في جماعة الرب ، وصار الولد البكر لله كما في الزبور ؟! ولذلك حكم المفسر هارسلي بأن هذه الجملة « حتى يمضي عشرة أعقاب » ملحقة بالنص وليست أصلية [١] .

نماذج من التناقض بين التوراة وسائر الأسفار :

١ ـ جاء في سفر التثنية ٢ / ١٧ ـ ١٨ : « قال لي الرب : إنك تدنو إلى قرب بني عمّون ، فلا تقاتلهم ولا تحاصرهم ، لأني لا أعطيك شيئًا من أرض بني عمون ، لأني أعطيتها بني

---

(١) إظهار الحق ١ / ٦٣ و٢٤٨ .

لوط ميراثًا » .

وجاء في سفر يوشع ١٣ / ٢٤ ـ ٢٥ : « وأعطى موسى لسبط جاد حسب عشائرهم ، فكان تخمهم جد يعزير وكل مدن جِلعاد ونصف أرض بني عمّون إلى عروعير .. » .

٢ ـ جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤ / ٨ : « كان يهوياكين ابن ثماني عشرة حين ملك » .

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦ / ٩ : « وكان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك » .

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ، في معرض كلامه على عبارة سفر الملوك : « وقع في ٣٦ / ٩ من السفر الثاني لأخبار الأيام لفظ (ثمان) وهو غلط . لأن ملكه دام ثلاثة أشهر ، ثم أُخذ إلى بابل أسيرًا ، وكان في السجن مع أزواجه ، والغالب أنه لا يكون لابن ثمان أو تسع أزواج » (١) .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٣٢ .

٣ ـ ورد في البابين الخامس والسادس من سفر صموئيل الثاني أن داود جاء بالتابوت بعد محاربة الفلسطينيين . وورد في البابين الثالث عشر والرابع عشر من السفر الأول لأخبار الأيام أنه جاء بالتابوت قبل محاربتهم .

فإذا كانت الحادثة واحدة كما هو ظاهر ، فمتى جاء بالتابوت ؟!

* * *

لمحة تاريخية عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها

حقيقة الإنجيل عند النصارىٰ :

الإنجيل كلمة يونانية الأصل ، معناها : التعليم أو البشارة .

ويطلق اسم الإنجيل عرفًا عند النصارىٰ اليوم على تلك القصص التي كُتبت بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ تقصّ أحواله وأعماله وأقواله التي وعظ بها ومعجزاته التي أجراها الله على يديه وغير ذلك .

فالإنجيل في اعتقادهم ليس كتابًا أوحى به الله سبحانه إلي المسيح ـ عليه السلام ـ بل هو رسالة أعدها المسيح نفسه للعالم ، ووعظ بها وعلمها شفويًا لتلاميذه المختارين ، وأرسلهم إلى جهات مختلفة لينشروها ويعلموها غيرهم . ولذلك دعوا بالرسل . ووعدهم بنزول (الروح القدس) عليهم بعد رفعه إلى السماء ليعلمهم كل شيء . ويعتقدون أن هذا قد حدث يوم الخمسين من قيامة المسيح بعد الصلب ، فبينما كان التلاميذ مجتمعين في مكان ، خرج من السماء فجأة دويٌ كريح عاصفة ،

ملأ البيت الذي كانوا فيه . وظهرت ألسنة كأنها من نار ، انقسمت ووقف على كل واحد منهم لسان ، فامتلؤوا كلهم من الروح القدس ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا ـ سفر الأعمال ٢ / ١ ـ ٤ .

ومن ذلك اليوم أخذ التلاميذ يبشرون بالأناجيل في كل مكان ، ويقدمون للناس رسائل الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم ، وحسب إرشاد الروح القدس لهم .

والإلهام عندهم إنما هو في المضمون الرئيسي أو الرسمي . أما بقية الأفكار والمعاني وأسلوب البيان والتعبير فللكاتب .

وهم يحصرون ذلك بأربعة أناجيل تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا ، انتقوها في أحد مجامعهم المقدسة بعد أخذ و رد من بين أكثر من مائة إنجيل . وفرقهم مجمعة على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمنة مختلفة بعد رفع المسيح ، وهم يعترفون بأنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه أو رأوه [١] .

---

(١) مقدمة العهد الجديد المطبوع في حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ ص أ ـ ب ، مقدمة =

ويعتقد المسلمون أن الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وحيًا على عبده ورسوله عيسى بن مريم - عليه السلام - فيه هدىً ونور . وقد بلَّغ - عليه السلام - الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة لكن لا وجود لهذا الإنجيل اليوم .

الإنجيل في زمن المسيح - عليه السلام - :

إذًا . فالنصارى يرون أن المسيح - عليه السلام - لم تكن له رسالة مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها ولم يأمر بكتابتها . بل إنما علمها لتلاميذه المختارين شفويًّا بلغتهم ، وكان يلقيها عليهم جزءًا بعد جزء بحسب الحوادث والمناسبات ، فيفهم البارزون من أصحابه على قدر ما يسيغونه من كلامه ، ثم ينفضّون عنه إلى عودة أخرى . وهكذا تكون الإنجيل [1] .

= العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ م وانظر منه التعريفات ص ٦٥٧-٦٥٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ ، إظهار الحق ١ / ٥٢ ، الفصل لابن حزم ٢ / ٢١ ، الجواب الصحيح ٢ / ١١ ، هداية الحيارى ص ٥٢٣ ، تفسير المنار ٣ / ١٥٨ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٠ و٦٦ ، المسيحية لأحمد ص ٢١ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٧ ، مواجهة صريحة ص ٨٠ - ٨٢ .

(١) الفصل ٢ / ٢١ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٠ وص ٦٦ ، مباحث بريئة في

لكن الشواهد متضافرة على أنه كان ثمة إنجيل أتى به المسيح ـ عليه السلام ـ وسلمه لتلاميذه ، وأمرهم أن يبشروا به . فأين هذا الإنجيل ؟؟

لا ريب أنه قد ضاع . إذ ليس هو أحد الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم بإقرارهم ، ولا مجموعَها أيضًا . لأنها تنسب إلى أصحابها . وقد كُتبت بعد رفعه .

وإننا لنجد في العهد الجديد عبارات تدل على ذلك الإنجيل ، ومنها ما يلي : .

١ ـ جاء في إنجيل متى ٢٦ / ١٣ : الحقّ أقول لكم ؛ حيثما يكرزْ بهذا الإنجيل في كلِ العالم ، يُخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها .

فاسم الإشارة يقتضي مشارًا إليه . ولو كان يريد التعاليم التي في صدره لبيّن ذلك . فأين هذا الإنجيل الذي أشار إليه المسيح ـ عليه السلام ـ ؟!

= الإنجيل ص ٨ .

٢ ـ وجاء في إنجيل مرقس ١ / ١٤ ـ ١٥ : وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل .

فكلمة (الإنجيل) جاءت معرفة بـ (الـ) الدالة على العهد الذهني . وهذا يعني أن ثمة إنجيلاً كان قائمًا في أذهانهم ذلك الوقت . فأين هو ؟؟

٣ ـ وجاء في رسالة بولس إلى الرومانيين ١ / ١ : بولس .. المدعو رسولاً ، المفرز لإنجيل الله ١ / ٩ : فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي .. .

٤ ـ وجاء في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى ٩ / ١٢ : بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح .

ففي تلك النصوص نجد كلمة (إنجيل) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) ، أو إلى الابن ، أو إلى المسيح ـ عليه السلام ـ فأين هذا الإنجيل ؟ !

إذًا . فقدْ ضاع الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه على عبده ورسوله المسيح ـ عليه السلام ـ ولم يبق له أثر إلا بعض عبارات متفرقة في الأناجيل المتداولة بين النصارى والمطّلع على الأناجيل الأربعة يجد أن كُتابها قد استفادوا من ذلك الإنجيل قبل ضياعه . ولو أن هذا الكتاب وصل إلينا كما كتبه أو بلّغه لكان من أهم الكنوز وأغلاها .

وعلماء النصرانية الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقيقة يُصرّحون بأنه كان في القرن الأول الميلادي رسالة تعد أصلاً لهذه الأناجيل :

نقل المحقق نورتن عن إكهارن قوله : « إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة ، يجوز أن يقال : إنها الإنجيل الأصلي . والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب . وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

وهذا هو مختار كثير من العلماء الألمان المتأخرين ، وإليه

مال كثير من المحققين [١] .

ذكر هورن في تفسيره [٢] : أن ليكلرك وكوب وميكايلس ولسنك ومارس وغيرهم قالوا : « لعل متى ومرقس ولوقا كان عندهم صحيفة واحدة باللسان العبري ، وكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها ؛ فنقلوا عنها . نقل عنها متى كثيرًا ، ومرقس ولوقا قليلاً » .

الإنجيل بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ :

لم يؤمن بالمسيح ـ عليه السلام ـ حال وجوده سوى عشرين ومائة رجل وقليل من النّسوة ـ كما في سفر الأعمال ـ وكان كل من آمن به يكتم إيمانه مخافة الأخذ والتعذيب .

واستمرت الاضطهادات بعد رفعه ـ عليه السلام ـ فأحاقت بحوارييه وأتباعه أشد المحن ، حتى كادت الدعوة أن تفنى . فتفرق أصحابه في أقطار الأرض يدعون إلى دينه سرًا ، وفي

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٨٨ ـ ١٨٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٨ .

(٢) ٤ / ٢٩٥ ، المطبوع عام ١٨٢٢ م وهو من محققي البروتستانت ، انظر إظهار الحق ١ / ١٩٩ و٢٩١ ـ ٢٩٢

أذهانهم أثارة من أقواله وتعاليمه . ومن ظُفر به منهم قتل . وظل الناس يتناقلون الروايات الشفوية عن أقواله وأفعاله ومعجزاته قرابة خمس وثلاثين سنة [١] .

ولا شك في أن الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها ، مع عدم وجود من يحافظ على التراث ويدونه ، أدت إلى ضياع الإنجيل الحقيقي وضياع كثير مما نقله الحواريون عن المسيح ـ عليه السلام ـ وإلى ظهور أناجيل متعددة ، فيها تعاليم متناقضة .

تدوين الأناجيل إبان المحن :

نزل بأتباع المسيح ـ عليه السلام ـ بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بدينهم ، ويفرون به أحيانًا ، ويصمدون لمضطهديهم مستشهدين أحيانًا أخرى . فبعد القيصر طيباروس الذي عاصر المسيح ـ عليه السلام ـ جاء قيصران شديدان على تلاميذه ، فقتلا منهم قتلا ذريعًا .

---

(١) دراسة لموريس بوكاي ص ٧٦ ـ ٧٧ ، مباحث بريئة ص ٨ ـ ٩ و١٢ .

ويـذكر النصارىٰ أنـه في وسـط تلـك النكبـات دُوِّنت أنـاجيلهم الأربعـة ورسـائلهم ؛ ففي زمن ثـاني القيصرين الشديدين دون متى إنجيله باللغة العبرانيـة . وفي عصر نيرون دون مرقس إنجيلـه وهـو بمصر . وكان قـد كتبـه عنـد بطرس وهـو بروما . ويـذكر بعض المؤرخين أن رجـال الكنيسـة اجتمعـوا في عهـد نيرون عـام ٦٤ م بعـد أن قُتـل كثير منهم ، فتدارسوا الأمر وحـاولوا أن يتـذكروا أقوال بطرس عنـه وعن معجـزاتـه ، فطلبـوا من يـوحنـا الملقب مرقس ، وهـو زميـل بطرس ، أن يسجل مـا يتـذكره من أقوال المسيـح وتعـاليـه . فجمع بشارة بذلك . ولمـا رأى الآخرون عمل مرقس ، عملوا هم أيضًا بشـارات عن حيـاة المسيح . وكل واحـد يسمي مـاكتبـه إنجيلاً .

ويذكر بعضهم أيضًا أن لوقا كذلـك دون إنجيلـه في عهـد نيرون . أما إنجيل يوحنا فالغالب أنه دُوِّن بعد ذلك [١] .

ومرت الأيام ، وتعددت الأناجيل والرسـائل ، حتى أصبح

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٦ ـ ٣٧ .

لكل منطقة إنجيلها الخاص . ويذكر التاريخ أنه كان في القرنين الأولين للميلاد أناجيل أخرى ، أخذت بها فرق قديمة في العصور الغابرة ، وراجت عندها ، بحيث لم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ، وتحكم بزيف غيره وبطلانه . بل لقد أربت الأناجيل على المائة . أما الرسائل فكانت أكثر من ذلك بكثير [١] .

وفي سنة ٣٠٣ م أراد (ديوكليشين) أن يمحو وجود الكتب المقدسة عن صفحة العالم . واجتهد في ذلك فأصدر أمرًا بهدم الكنائس وإحراق الكتب ومنع النصارى من الاجتماع لأداء العبادة . ونفذ ولاته الأمر ، ومن سبق إلى ظنهم أنه أخفى كتابًا عذبوه عذابًا شديدًا حتى يفصح عنه فيحرق .

ولم يكن الاضطهاد من قبل الرومان فحسب . بل شاركهم في ذلك اليهود . وكان أذاهم أمكن ، وتنقيبهم عن العقيدة أدخل . وكانوا يتفننون في طرق إبادة أتباع المسيح

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٩ ، دراسة لموريس ص ٩٩ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ .

من الوجود ، فما تركوا عالمًا إلا قتلوه واستمر الاضطهاد اليهودي الروماني نازلاً بهم حتى جاء (قسطنطين) في أوائل القرن الرابع الميلادي فكان عصره عصر خير وبركة عليهم [١] .

ولا ريب في أن هذه الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها وفي بدء تدوين كتبها جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية سرًا لا جهرًا . والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يُحكىٰ عما يحدث فيها . ولا مانع من أن يُدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، ويُنقل عن أشخاص ما لم يقولوه . ولاسيما إذا كان الظرف مواتيًا للتحريف نظرًا لقلة النسخ وكثرة الاضطهاد . وهم يذكرون وقائع من قتل وملاحقة ومحاولة إبادة ، ما لو كان صحيحًا لقلّت النسخ وانقطع سندها ، وكان للمحرفين مجال كبير . بل لا عجب إذا ما انعدم بعض الكتب أصلاً ، وكان الموجود باسمه موضوعًا مكذوبًا . فإذا جرى الشك لدي الباحثين دون من كتب النصارىٰ الأولىٰ التي كُتبت في ظلمه السرية وفُقِد

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٣٠ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ .

سندها بسبب الاضطهاد ، فإنه يكون قد وقع حيث وُجدت دواعيه وقامت شواهده . واعتذار بعض علماء النصارى عن الاضطرابات القائمة في الأناجيل بأنها دُونت في عصور الاضطهاد لا يجديهم فتيلاً [١] .

بولس ودوره :

وفي أثناء الظلام الحالك دخل بولس في دعوة المسيح بطريقة مريبة ، يبدو أنه خطط لها مع حنانيا . فقد انتقل ـجأة من اضطهاد الكنيسة بإفراط ـ وهو اليهودي الفريسي ـ ى الدين الجديد من غير مقدمات و تمهيد . ليس تابعًا عاديًا فحسب ، بل رسولاً يضارع بطرس . وراح يقول في صراحة : إنه الوحيد الذي ائتمن على المسيحية الصحيحة وعلى إنجيل مجد الله المبارك ، وأن كل ما يخالف قوله من تعاليم باطل دنس مخالف للعلم كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان .

وقام الصراع بين بولس وأنصاره من جهة وبين أتباع المسيح الحقيقيين من جهة ثانية ، وطال أمده وامتد قرونًا

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٠ ـ ٤١ .

طويلة بعد وفاة بولس .

ولاشك في أن المسيحيين الحقيقيين كتبوا وتكلموا وناضلوا . وهذا واضح من تحذيرات بولس ويوحنا . لكن أين ما كتبوه ؟ لابد أنه ضاع في العصور المظلمة كما ضاع إنجيل المسيح عليه السلام وربما نجا بعض ما كتبه هؤلاء ، وأخفاه أصحابه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث غُلب القائلون بالتوحيد على أمرهم ، وهم الأكثرية ، وانعقد المجمع بدونهم في أقلية تقول بألوهية المسيح . واختير الكتاب المقدس للنصارى في هذا المجمع ثم في المجامع التالية [١] .

مجمع نيقية :

بعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالت عليهم ، نظروا في تلك القصص التي كتبت ، فهالهم أمرها وتنبهوا للخطر . وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث بدأت الكنيسة تبحث عن أصل الإنجيل . ولكن دون

---

(١) المسيحية لأحمد ص ١٠٧ ـ١١٣، وص ١١٨ .

جدوى ، فقد اختلط الحابل بالنابل .

ولما منح الامبراطور قسطنطين عطفه لأتباع المسيح واعتزم الدخول في دينهم ، ظهرت الخلافات الكامنة ، فإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلّق باسم المسيح واشتد الخلاف بين الطوائف ، فأمر بعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

وجاءت الطوائف المختلفة ومعها عشرات الأناجيل ومئات الرسائل للتدقيق وإظهار الحجة . وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقويه لعدم وجود الأسانيد . وسمع الملك تلك المناظرات فعجب أشد العجب . ثم جنح أخيرًا إلى رأي بولس لقربه من أفكاره الوثنية ، فعقد مجلسًا خاصًا بالأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي ، مع أنهم أقلية ، فقد كانت نسبتهم تساوي $\frac{٣١٨}{٢٠٤٨}$ أسقفًا . وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي أن تصنعوا مما فيه قوام الدين . فباركوا الملك ، ووضعوا له أربعين كتابًا فيها السنن والشرائع .

واختارت الكنيسة المنتصرة من تلك الكتب والرسائل ما لايتعارض مع نزعتها ، ومنها أربعة الأناجيل ، فسلمت بها وجعلتها قانونية . ولم تكترث لما بينها من اضطراب وتناقض مادام ذلك لا يخالف المنزع العام الذي قصدته . رغم ما فيها من جهالة المؤلف الحقيقي وانقطاع السند وعدم العلم التام بالمترجم الحقيقي لبعضها ، ومبلغ أمانته وحرصه على الدين . ولو أنه كان لديها سند صحيح متصل لما ضرها قول غيرها ولا طعنه . ثم أجبرت الناس على قبولها ، ورفضت ما يخالف نزعتها ، وحكمت ببطلانه وتحريم قراءته ، وأمرت بإتلافه وإحراقه . ولاحقت كل من يعارض ذلك ، وتم لها ما أرادت .

وهكذا اختفت مبادئ المسيح ـ عليه السلام ـ وتعاليم حوارييه ، وضاع التراث الذي خلفوه . وتم النصر لأفكار بولس، ولاسيما في مطلع القرن الرابع حيث أيدت القوة الرومانية هذا الاتجاه ، وألزمت الناس باتباعه ، وحاربت ما سواه [١] .

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٥٢ ـ ١٥٥ ، الإنجيل والصليب ص ١٤ ، إظهار =

وقد قرر بعض الباحثين أن الأناجيل والأبحاث التي تعارض اتجاه بولس قد فنيت ، وفي مقدمتها إنجيل المسيح وما كتبه الحواريون ، وأن ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيلي متىٰ ومرقس بقي لكن بعد إدخال تغييرات عليه من قبل مريدي بولس وأنصاره حذفًا وزيادة ، وبخاصة عند ترجمة إنجيل متى من الآرامية إلى اليونانية ، مع جهالة المترجم وفقدان الأصل . أما إنجيلا لوقا ويوحنا والرسائل جميعها فهي منسوبة إلى بولس وأتباعه في الحقيقة . بل إن الجزء الأكبر من مصادر النصرانية المعترف بها ذو صلة كبيرة بقلم بولس ومريديه . وما سوى ذلك قليل . ويبدو أن يدًا لعبت به أيضًا ، فتركته لا يؤيد ولا يعارض آراء بولس كما في رسالة يعقوب وإنجيل متىٰ (١) .

ومن الجدير بالذكر أن أربعة الأناجيل التي اختارتها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارىٰ ، ولم تعرف إلا في عصر

= الحق ١ / ٦١ ، المسيحية لأحمد ص ١١٩ ، الأجوبة الفاخرة ص ١١٢ .

(١) المسيحية لأحمد ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

متأخر ، حتى قيل : إنه لم يكن معترفًا بها قبل إقرار الكنيسة لها .

وعلى كل حال ، فإن أولى كتابات العصر النصراني لا تشير إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدًا . والشهادات المتعلقة بوجود مجموعة الكتابات الإنجيلية إنما تظهر في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م ، ولا توجد أية شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل ذلك . وهذه الملاحظات تعرضها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشور عام ١٩٧٢ م [١] .

ويذكر بعض المؤرخين أنه لا توجد أية إشارة إلى أناجيل متى ومرقس ولوقا قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث . وأول من ذكرها القديس (إرينيوس) عام ٢٠٩ م وأورد بعض الدلائل على عددها ، ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد . وجاء من بعده القديس (كليمنس) الإسكندري عام ٢١٦ م فاجتهد اجتهادًا عظيمًا في هذا الباب ،

---

(١) دراسة لموريس ص ٩٩ .

فقرر أن هذه الأربعة واجبة التسليم وأن على النصراني أن يسلم بها [١].

وإن الباحث ليتساءل : أهذه الأناجيل الأربعة المسطورة اليوم هي نفسها التي جاء ذكرها على لسان ذينك الرجلين ؟ أم اعتراها التغيير أيضًا ؟ .

يقول القس العراقي الآشوري عبد الأحد داود [٢] : إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كُتاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية وحكمه سنة ٣٢٥ م . لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور .. وهكذا كان العالم النصراني محرومًا من العهد الجديد مدة (٣٢٥) سنة .

وقال أيضًا : يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته

---

(١) إظهار الحق ١ / ٦١ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٩ و١٤٤ ، الاسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ - ٩٤ و١١٠ ، دراسة لموريس ص ٧٥ المسيحية لأحمد ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٢) في كتابه الإنجيل والصليب ص ١٤ وص ١٩ .

إلى (٣٢٥) سنة بغير كتاب مقدس ، كم يتأثر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية ؟ وكيف يختل نظامه ، ويتكدر صفاؤه الأصلي بالخرافات والروايات الكاذبة اهـ .

وصفوة القول : إنه من الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت أو أُتلفت إبان الاضطهادات الأولى ، لكن بقي قسم منه أخفاها أصحابها ، ثم أخرجها عندما استقر أمر النصارى . ولا ريب في أن بعضها قُدم لمجمع نيقية ، ولكن المجمع المحرف ، وأصبحت الغلبة للأقلية التي تقول بألوهية المسيح . وعلى هذا الأساس قرر مصير الأناجيل . وما اكتُشف بجوار البحر الميت خير دليل على ذلك .

عُرضة كتابهم المقدس للتحريف :

إن كون الإنجيل رسالة شفوية صرفة ، ذكرها المسيح ـ عليه السلام ـ أمام تلاميذه ـ كما يقولون ـ ثم كتبها التلاميذ في ظلمة السرية إبان المحن ، يجعله عُرضة للتحريف القصدي وغير القصدي .

قال أ. كولمان في كتابه (العهد الجديد) [١] : إن المبشرين ـ أي كُتاب الأناجيل ـ لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفوي ؛ فقد بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين عامًا في شكله الشفوي . وهذا التراث الشفوي قد نقل أساسًا أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون كل على طريقته ، وبحسب شخصيته واهتماماته الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد اهـ .

إنه لم يكن أحد من قدمائهم يحفظ الإنجيل كله تلقيًا عن الحواريين بالأسانيد الصحيحة ، فضلا عن أن يحفظه أهل التواتر . وليس فيهم بالأمس ولا اليوم من يحفظ الكتاب المقدس بعهديه ، كحفظ عوام المسلمين لألفاظ القرآن الكريم ، ونقلهم لها ولقراءاتها بالتواتر حفظًا وكتابة ، لاسيا وأن كِتابهم مترجم ، وقد ضاع الأصل . فهل يحفظه في لغة من يحصل بهم التواتر ؟ ! وكيف يحفظونه وهو عند علمائهم دون العامة ،

---

(١) انظر دراسة لموريس بوكاي ص ٧٦ ـ ٧٧ .

وإنما يتلون بعضه قراءةً في المناسبات ؟ !

ذكر القَس روجي في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل) [١] :
إنه في عصور ليست بعيدة تمامًا كان أغلبية النصارىٰ لا يعرفون من الإنجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ ، كما أن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل . ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله . إن قراءة الأناجيل بشكل كامل لم يكن أمرًا سائدًا فيما عدا بعض المناسبات الدينية اهـ .

والأدهى من ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تمنع العامة من قراءة الكتب المقدسة وتقول : إن الشر الناتج عن قراءتها أكثر من الخير . ولما ظهرت فرقة البروتستانت ، وأظهرت هذه الكتب ظهر ما ظهر .. ولذلك جاء في قانون المجمع التريدينتي الذي ثَبَّته البابا بعد نهاية المجمع ما يلي : إذا كان ظاهرًا من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللفظ الدارج ، فالشر الناتج من ذلك أكثر من الخير .

---

(١) دراسة لموريس ص ٦٥ .

فلأجل هذا ، ليكن للأسقف أو القاضي في بيت التفتيش سلطان حسب تمييزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف ليأذن في قراءة الكتابات باللفظ الدارج لأولئك الذين يظن أنهم يستفيدون .

ويجب أن يكون الكتاب مستخرجًا من معلم كاثوليكي ، والإذن المعطى بخط اليد ، وإن تجاسر أحد فقرأ أو أخذ هذا الكتاب بدون إذن ، فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم اهـ .

ومن المعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ ، ولا سيما إذا كان لا يطلع عليها إلا الخواص ، وهي غير محفوظة غيبًا . فأهل الكتاب لا يحفظون كتابهم عن ظهر قلب ، وقل أن تجد بين اليهود من يحفظ التوراة غيبًا فضلاً عن أن يحفظ معها أسفار الأنبياء . أما النصارى فلا أحد فيهم يحفظ الكتاب المقدس بعهديه . ولو عدمت نسخهم من الوجود لم يكن لديهم نقل صحيح باللفظ ، بخلاف القرآن الكريم ، فإن كثيرًا من المسلمين يحفظونه عن

ظهر قلب كاملاً ، فضلاً عمن يحفظ بعضه . ولو عدمت المصاحف كلها من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه . وهم يتلون كتاب ربهم من الصدور والسطور آناء الليل وأطراف النهار ، ولا سيما في رمضان . لذا كان تحريفه ممتنعًا وغيره من الكتب عرضة لذلك [١] .

* * *

---

(١) الجواب الصحيح ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩ و٢ / ٨ و١٣ و٢٠ و٢٣ و٢٥ و٢٢١ - ٢٢٢ ، هداية الحيارى ص ٥٨٩ ، إظهار الحق ٢ / ٥٤

مدى صحة العهد الجديد

تبين مما تقدم أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يخلف رسالة مكتوبة في اعتقاد النصارىٰ ، وأنه لم يؤمن به حال وجوده في الأرض سوى عشرين ومائة رجل وقليل من النسوة ، كانوا يكتمون إيمانهم مخافة الأخذ والتعذيب . وبعد رفعه إلى السماء أحاقت بأتباعه أشد المحن ، حتى كادت الدعوة تفنى . فتفرقوا في الأرض يدعون إلى دينه سرًّا . واستمر الاضطهاد إلىٰ القرن الرابع . وقد وقع بهم من النكبات كما يذكرون ما يذهب بالعقل وينسىٰ معه المرء كل شيء . الأمر الذي أدىٰ إلى ضياع كثير مما كتبه الحواريون وظهور أناجيل كثيرة مختلفة ، ورسائل أكثر متضاربة .

وأربعة الأناجيل التي يعترف بها النصارىٰ والرسائل التي يرونها قانونية ، إنما ظهرت بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م . وقبل ذلك لم تكن معروفة أو مسلمًا بتقديسها . وهم يقولون إنها كتبت في آخر القرن الأول . فبين آخر كتبهم تدوينًا وبين الاعتراف به أكثر من ٢٢٥ سنة ، هذا ويظهر ضعف العهد

الجديد من النقاط التالية :

١ - عدم وجود سند لأسفاره :

إن أخبار التاريخ لا تثبت إلا بأحد أمرين : إما بالرواة واتصال السند ، أو بالآثار التي ينقب عنها العلماء ، فيحققون ويوازنون ويتعرفون . فهل ثبت العهد الجديد بواحد من هذين الأمرين ؟

ليس لدىٰ النصارىٰ نسخة واحدة بخط تلميذ من تلميذ المسيح مطلقًا . بل إن الإنجيل الأول المنسوب إلىٰ متى ، ليس لديهم منه إلا الترجمة اليونانية ، مع أنه كُتب أولاً باللغة الآرامية ، ولا يعرفون من هو المترجم . وهم يقرون بعدم وجود السند الكامل المتصل من الرواة المعروفين إلى من تنسب إليهم الأناجيل والرسائل ، وإنما يأخذون بالظن ؛ فيقولون لعله فلان أو فلان ، ويتمسكون بقرائن لا تجدي مثل اتفاق هذه الكتب في بعض مضامينها ، وشهادة بعض تابعي الحواريين بوجود بعضها في القرن الأول والثاني ، ثم اشتهارها في أواخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث ، وهم يعتذرون

عن ذلك بأنها كتبت في ظلام السرية بسبب الاضطهادات التي حلت بأسلافهم ، ويُحسِّنون الظن بهم . والسند المتنازع عليه بيننا وبينهم هو السند المتصل الجامع لشروط الرواية . وهو ما يرويه العدل ـ أي الثقة المعروف بصدقه واتزانه ـ الضابط لما يسمع عن طريق الحفظ أو الكتابة ، عن آخر مثله إلى انتهاء السند ، أن الكتاب الفلاني من تصنيف الحواري فلان ؛ سمعت هذا الكتاب كله أو بعضه من كذا إلى كذا منه مشافهة ، أو قرأته عليه وهو يسمع ، أو أقر عندي أن الكتاب الفلاني من تصنيفه . ولا وجود لمثل هذا السند أو شبهه عندهم البتة [١] .

قال المحقق البروتستانتي هورن في تفسيره : إن الحالات التي وصلت إلينا في زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير محددة ، لا توصلنا إلى أمر معين . والقدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، ثم قَبِل الذين جاؤوا من بعدهم ما كتبوه تعظيمًا لهم . وهذه الروايات

---

(١) الجواب الصحيح ٢ / ١٤ ، إظهار الحق ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى آخر ، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة [١] .

٢ ـ جهالة مصنفيها :

يعتقد غالبية النصارى أن كُتاب الأناجيل شهود عيان للمسيح عليه السلام وسبب ذلك أن طبعات العهد الجديد القديمة والحديثة تحتوي على مقدمات وتعليقات تهدف إلى نشر هذه الأفكار بين العامة . والحق والواقع أن اثنين ممن تُنسب لهم الأناجيل لم يريا المسيح أصلاً ، وهما لوقا ومرقس . أما الآخران وهما متى ويوحنا فمختلف في رؤيتهما له . والمحققون يرجحون عدم الرؤية بسبب عبارات وردت في الكتابين وأمور أخرى لا مجال لذكرها في هذه العجالة وليس لدى النصارى نسخة واحدة بخط تلميذ من التلاميذ كما سلف [٢] .

وقد توصل الأب كانينجر في دراسته وبحثه عن القيامة إلى أنه ما من كاتب للعهد الجديد يستطيع أن ينسب لنفسه صفة

---

(١) إظهار الحق ١ / ٧٩ و٨٢ .

(٢) دراسة لموريس ص ٧٠ ، الجواب الصحيح ٢ / ١١ .

كونه شاهدًا معاينًا لقيامة المسيح سوى بولس [١] .

وقال العالم فاستس : إن العهد الجديد ما صنّفه المسيح ولا الحواريّون ، بل صنّفه رجل مجهول الاسم ، ونُسب إلى الحواريين ورفاقهم [٢] .

وقال المفسر لاردنر [٣] : حُكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر الملك أناسطيثوس في الأيام التي كان فيها مسّالة حاكمًا على القسطنطينية ، فصُححت مرة أخرى .

أما العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل النصرانية في دائرة المعارف الفرنسية فيذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤكد أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والتابعين الذين تنسب إليهم . وقد تبين لبعض الباحثين أنه لا يُعرف متى كتبت ، ولا بأي لغة أُلفت ، وأن

---

(١) دراسة لموريس ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) إظهار الحق ص ١٠٣ طبعة قطر .

(٣) في ٥ / ١٢٤ من تفسيره انظر إظهار الحق ١ / ٢٩٦ .

مؤلفيها غير معروفين (١) .

٣ ـ اضطراب متنها :

يعتقد النصارىٰ أن أربعة الأناجيل تتفق في الجوهر والعقيدة والتشريع والأخلاق ، وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل . ويزعمون أنها إنجيل واحد في أربعة صور ، لكن هيهات ، فمن اطلع علىٰ أسفار العهد الجديد ورسائله وجده كتابًا غير متجانس ، لا يمثل وجهة نظر تسوده من أوله إلى آخره ، بل هو أشتات مجمعة اضطربت أقوال مؤلفيها وتضاربت ؛ فبعضهم يذكر في إنجيله حالات وعجائب لا يذكرها غيره ، وكثيرًا ما يُروىٰ الخبر الواحد في إنجيل ما على نحو يخالف غيره أو يزيد عليه أو ينقص عنه كما سنرى في النماذج قريبًا . من أجل ذلك قسم الباحثون أربعة الأناجيل إلىٰ مجموعتين هما :

ا ـ الأناجيل المتوازية : وهي متى ومرقس ولوقا وسُميت بذلك لتقاربها من بعضها نوعًا ما بخلاف الإنجيل

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٨ ـ ٩٢ ، تفسير المنار ٦ / ٢٩٣ .

الرابع فإنه يختلف عنها في غايته . ومع ذلك فإن كل واحد منها يروي سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ على نحو يختلف عن غيره في نقاط كثيرة ، كما أن إنجيلي متى ولوقا يذكران أمورًا لا وجود لها في إنجيل مرقس . ومن هنا نشأ ما يسمى بالمشكلة المتوازية . وقد بذلت عدة محاولات لحلها ، لكن دون جدوى [١] .

وقد أشار أ. كولمان في (العهد الجديد) [٢] إلى أن لوقا يحذف من روايته أكثر الفقرات اليهودية عند مرقس ، ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود وعلاقاته الطيبة مع السامريين ، بينما ذكر متى أن المسيح طلب من الحواريين أن يجتنبوا السامريين . وتبيّن كولمان أيضًا أن في إنجيل لوقا روايات لا وجود لها في الأناجيل الأخرى .

أما الترجمة السكونية [٣] فقد أشارت إلى أن شتى الروايات

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٨٧ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ ، دراسة لموريس ص ٨٩ .

(٢) ص ١٨ انظر دراسة لموريس ص ٨٨ و١١٨

(٣) ص ١٨١ فما بعدها . انظر دراسة لموريس ص ٨٨ و١١٨

في لوقا تحتوي على اختلافات هامة مع روايات سابقيه .

ب ـ **إنجيل يوحنا** : ويختلف عن الأناجيل السابقة اختلافًا هامًّا من حيث ترتيب الموضوعات والروايات والخطب واختيارها ، كما أن ثمة اختلافًا في الأسلوب والجغرافيا والتعاقب الزمني للأحداث . أضف إلى ذلك وجود روايات لم يوردها غيره ، وإهمال فقرات مذكورة في غيره . وقد أشارت الترجمة المسكونية إلى ذلك [١] .

وعلى سبيل المثال فإن تأسيس القربان المقدس في أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين ورد في الأناجيل الثلاثة الأولى ، ولم يُشر إنجيل يوحنا إليه مطلقًا . فهل ضاعت هذه الفقرة منه ؟ ! كما أن إنجيل يوحنا هو الوحيد الذي تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لأُلوهية المسيح [٢] .

* * *

---

(١) ص ٢٨٣ . انظر دراسة لموريس ص ٩٢ ، مجلة الجامعة ص ١٥٣ و١٥٨ .

(٢) دراسة لموريس ص ١١٨ ـ ١١٩ و٩٠ و٩٣ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ .

نماذج من التناقض والتحريف في الأناجيل

تختلف الأناجيل عن بعضها اختلافًا كثيرًا من حيث اللفظ والمعنىٰ زيادة ونقصانًا وتعارضًا ، فهي كتب مضطربة بعيدة عن التآلف . ومن وقف علىٰ الأناجيل ثبت له اضطرابها وتعارضها من ثلاثة وجوه : تعارضها مع العهد القديم ، وتعارضها فيا بينها ومع نفسها ، وتعارضها مع الحقائق والوقائع في العالم الخارجي . وإليك نماذج من ذلك :

ا ـ نماذج من تعارض الأناجيل مع العهد القديم :

تعارض الأناجيل مع العهد القديم كثير ومتنوع ؛ فما أكثر ما ينقل كُتاب الأناجيل نصوصًا من العهد القديم ، فينسبونها لسفر أو نبي ، وهي لغيره ، أو ليس لها وجود . وكثيرًا ما يُشوّهون النص فلا يكتبونه علىٰ وجهه الصحيح . وإليكم نماذج من ذلك :

١ ـ جاء في إنجيل متى ١٢ / ٣ ـ ٤ ومرقس ٢ / ٢٥ ـ ٢٦ ولوقا ٦ / ٣ ـ ٤ : « أما قرأتم ما عمل داود عندما جاع هو

ورجـالـه ؟ كيف دخـل بيت الله ـ وزاد مرقس : في أيـام أبياثار رئيس الكهنـة ـ وكيف أكلوا خبز القربـان ، وأَكْلـه لا يحل لهم ، بل للكهنة وحدهم » .

وبمقارنة هذا الكلام مع البابين الحـادي والعشرين والثـاني والعشرين من سفر صموئيل الأول يظهر الخطآن التاليان :

ـ قـول الثـلاثـة : أكل هـو ورجـالـه غلـط لأن داود كان وحده في ذلك الوقت .

ـ قول مرقس : في أيام أبياثار رئيس الكهنـة غلـط آخر ، لأن رئيس الكهنـة في تلـك الأيـام كان (أخيمالـك) لا (أبياثـار) . كما يظهر من الفقرتين ٢٢ / ٢٠ ـ ٢٣ أن أخيمالـك هو عم أبياثار .

وقـد أقر علمـاء النصـارى بهـذا ؛ قـال وارد الكاثـوليكي في كتابه المسمى (الأغلاط) [١] :

« كتـب مستر جويل في كتـابـه أن مرقس غلـط ، فكتب

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٦٨ .

أبيـاثـار مـوضـع أخيالـك ، لأن داود كان منفردًا في ذلـك الوقت ، ولم يكن معه أحد .

٢ ـ جـــاء في متى ١٤ / ٣ وفي مرقس ٦ / ١٧ : « وكان هيرودس أمسك يوحنا ، وقيده وسجنه من أجل هيروديّة التي تزوجها ، وهي امرأة أخيه فيلُبس » .

وهذا غلط لأن اسم زوج هيروديّة هو هيرودس أيضًا ، لا فيلبس كما صرح المؤرخ يوسيفـوس في البـاب الخـامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه .

وقد أسقـط مترجمو الطبعـة العربيـة عـام ١٨٢١ و ١٨٤٤ م لفظ (فيلبس) ووقفوا عنـد كلمـة (أخيـه) ، لكن لم يتبعهم أحد في ذلك [١] .

٣ ـ جاء في إنجيل متى ٢٧ / ٣٥ ويوحنـا ١٩ / ٢٣ ـ ٢٤ : « فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها ، فتم ما قال النبي ـ وعنـد يـوحنـا : الكتـاب ـ: اقتسمـوا ثيـابي ، وعلى قميصي اقترعـوا ».

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٥٨ .

فهذه العبارة : « فتم ما قال النبي .. » ملحقة بالنص كما قال محققوهم :

فقد بين هورن في تفسيره [١] وأثبت بالأدلة القاطعة أنها ملحقة ، ثم قال : ولقد أحسن كريسباخ في تركها بعد ما ثبت لديه أنها كذب قطعًا » .

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره في ذيل هذه الفقرة [٢] : « لابد من ترك هذه العبارة ، لأنها ليست جزءًا من المتن ، وقد تركتها النسخ الصحيحة ، وكذلك التراجم إلا شذوذًا ، كما تركها عدد غير محصور من القدماء . وصرح بعضهم بأنها أخذت من إنجيل يوحنا فوضعت في متى .

أما مرقس في ١٥ / ٢٤ ولوقا في ٢٣ / ٣٤ ، فقد ذكرا القسمة والقرعة ، ولم ينسبا شيئًا لنبي أو سفر » .

---

(١) ٢ / ٢٣٠ / ٢٣١ - انظر إظهار الحق ١ / ٢٥٧ .

(٢) انظر إظهار الحق ١ / ٢٥٧

ب ـ نماذج من تعارض الأناجيل فيما بينها ومع نفسها :

١ ـ يُعلم من الباب الثاني في إنجيل متىٰ أن أبوي المسيح ـ أي مريم ويوسف النجار[١] ـ كانا يقيمان في (بيت لحم) وأن هذه الإقامة دامت قرابة سنتين حيث جاء المجوس إلى هناك ، وقدموا لأمه هدية ، ثم ذهب به أبواه إلى مصر خوفًا عليه من الملك هيرودس ، وأقاما هناك مدة حياة الملك ، وبعد موته رجعا فأقاما في الناصرة .

ويعلم من كلام لوقا أن أبوي المسيح ذهبا إلى أورشليم بعد أن أتمت مريم نفاسها ، فقدما الذبيحة ، ثم رجعا إلى الناصرة فأقاما فيها . وكانا يذهبان إلى أورشليم في أيام العيد كل سنة . فأين أقاما مع المسيح خلال السنتين الأوليين من حياته ؟ وهل هربوا إلى مصر ؟ [٢] .

---

(١) لم أتعرض هنا لاختلافها في نسب يوسف وجعله أبا للمسيح كما يزعمون ، لأني سأذكر ذلك في الكتاب الثاني (بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ) .

(٢) إظهار الحق ١ / ١٠٠ ، دراسة لموريس ص ٨٨ .

٢ ـ ذكر متى في ١٠ / ٢ ومرقس في ٣ / ١٦ ولوقا في ٦ / ٤ أسماء التلاميذ الاثني عشر المختارين .

وقد اتفقوا في أسماء أحد عشر منهم وهم : سمعان الذي سماه المسيح بطرس ، وأخوه أندراوس ، ويعقوب بن زبدي ، وأخوه يوحنا بن زبدي ـ وسماها : (وانرجس) أي ابني الرعد ـ ، فيلُّبس ، برتولماوس ، توما ، متى جابي الضرائب ، يعقوب بن حلفي ، سمعان الوطني الغيور ، يهوذا الإسخريوطي .

واختلفوا في الثاني عشر : قال متى : لباوس الملقب بتداوس : وقال مرقس : تداوس .

لكن قال لوقا : يهوذا بن يعقوب .

ومن الملاحظ أيضًا أن لوقا ويوحنا أوردا اثنين باسم يهوذا : يهوذا الإسخريوطي ويهوذا بن يعقوب . ولم يظهر يهوذا بن يعقوب في كلٍّ من متى ومرقس .

أما في سفر الأعمال فقد ذكر الكاتب في ١ / ١٢ أحد عشر

اسمًا بدون ذكر يهوذا الإسخريوطي . والحادي عشر هو يهوذا بن يعقوب . ثم ذكر في ١ / ٢١ ـ ٢٦ أنهم اجتمعوا لاختيار خَلَف ليهوذا الإسخريوطي ، فاختاروا اثنين ، ثم أقرعوا بينهما ، فوقعت القرعة على متياس .

وقد علق على ذلك جون كيك في تفسيره لإنجيل لوقا فقال : عندما كتب لوقا الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ [1] .

٣ ـ من قرأ قصة المرأة التي سكبت الطيب على المسيح ـ عليه السلام ـ في أربعة الأناجيل وجد فيها اختلافًا من الوجوه التالية :

(أ) صرح مرقس في ١٤ / ١ بأن هذا الأمر كان قبل الفصح وعيد الفطير بيومين . وذكر يوحنا في ١٢ / ١ أنه كان قبل الفصح بستة أيام . وسكت متى ولوقا عن تحديد الزمان .

---

(١) إظهار الحق ١ / ١١٧ ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ص ١٦٥ ندوة الخرطوم .

(ب) جعل متى في ٢٦ / ٦ ومرقس في ١٤ / ٣ هذه الحادثة في بيت سمعان الأبرص ، وكذلك لوقا في ٧ / ٢٦ فإنه جعلها في بيت أحد الفريسيين الذي دعاه إلى طعام ، ثم ذكر فيما بعد أن اسمه سمعان .

أما يوحنا فقد جعلها في ١٢ / ١ ـ ٢ في بيت صديقه (لعازر) الذي أقامه من بين الأموات .

(جـ) المرأة التي وضعت الطيب على قدمي المسيح هي في إنجيل لوقا ٧ / ٣٧ : امرأة خاطئة ، علمت بوجوده في بيت الفريسي ، فجاءت ومعها قارورة الطيب . وفي إنجيل يوحنا ١٢ / ٣ هي مريم زوجة صديقه . أما متى ومرقس فقد سكتا ، ولم يذكرا من هي ولا من أين جاءت .

(د) جعل متى في ٢٦ / ٧ ومرقس في ١٤ / ٣ إفاضة الطيب على رأس المسيح . وجعلها يوحنا في ١٢ / ٣ على القدمين . أما لوقا في ٧ / ٣٨ فقد ذكر أنها وقفت خلفه تبكي عند قدميه ، فتبلها بدموعها ، وتمسحها بشعرها ، وتقبلها وتدهنها بالطيب ، فهو دهن عنده ، وليس سكبًا أو إفراغًا .

(هـ) ذكر يوحنا في ١٢ / ٥ أن ثمن الطيب ثلاثمائة دينار ، وبالغ مرقس في ١٤ / ٥ فقال : أكثر من ثلاثمائة دينار . وأبهم متى في ٢٦ / ٧ فقال : غالي الثمن . ولم يتعرض لوقا لذلك .

(و) أفاد متى في ٢٦ / ٨ أن المعترضين على المرأة هم التلاميذ . وذكر يوحنا في ١٢ / ٤ أنه كان واحدًا ، وهو يهوذا ، وأبهم مرقس في ١٤ / ٤ فذكر أنهم ناس من الحاضرين . أما لوقا فلم يتعرض لذلك .

ومن الجدير بالذكر أن قصة دهن امرأة بالطيب لإله متجسد بناسوت وثنية قديمة ؛ قال ريس في كتابه (تاريخ الهند) [١] : وأتي إلى (كرشنة) بامرأة فقيرة مقعدة ، ومعها إناء فيه طيب وزيت وزعفران وغير ذلك ، فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية ، وسكبت الباقي على رأسه » فهل يرجع هذا قول متى ومرقس بأن إفاضة الطيب كانت على الرأس ، لا على القدمين ؟ .

---

(١) ٢ / ٣٢٠ ، انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٤ ـ جاء في إنجيل متى ٣ / ٤ : « وكان يوحنا يلبس ثوبًا من وبر الجمال ، وعلى وسطه حزام من جلد ، ويقتات من الجراد والعسل البري » . كما ورد نحو ذلك في مرقس ١ / ٦ .

وجاء في متى ١١ / ١٨ : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : فيه شيطان » .

فهل كان يأكل أولا ؟ ! .

٥ ـ جاء في متى ١٦ / ١٨ ـ ١٩ : أن المسيح قال لبطرس : « وأنا أقول لك : أنت صخر ، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي ، وقوات الجحيم لن تقوى عليك ، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فما تربطه في الأرض يكون مربوطًا في السماء ، وما تحله في الأرض يكون محلولاً في السماء » .

وجاء في متى ١٦ / ٢٣ أيضًا أنه قال له : « ابتعد عني يا شيطان ، أنت عقبة في طريقي . لأن أفكارك هذه أفكار البشر ، لا أفكار الله » .

فكيف يوليه أمرًا لا يكون إلا لله وحده ، ثم يصفه بأنه شيطان وأنه عقبة في طريقه ؟! هل وقع نسخ لتغير الحال ؟ .

ج ـ نماذج من تعارض الأناجيل مع الحقائق والوقائع :

١ ـ جاء في لوقا ٢ / ١ ـ ٢ : « وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة . وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية » .

٢ / ٤ ـ ٥ : « فصعد يوسف أيضًا .. ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة ، وهي حبلى » .

٢ / ٦ ـ ٧ : « وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر .. » .

وهذا غلط من وجهين :

ا ـ لم يذكر أحد من قدماء المؤرخين اليونانيين الذين كانوا معاصرين للوقا ، أو متقدمين عليه قليلاً ، هذا الإحصاء

المتقدم على ولادة المسيح ـ عليه السلام ـ وإذا وجد من ذكره من المؤرخين المتأخرين عن لوقا في الزمن ، فلا تعويل على كلامه ، لأنه ينقل عن لوقا .

ب ـ إن كيرونيوس كان حاكمًا على سورية بعد ولادة المسيح بخمس عشرة سنة . فكيف يكون الإحصاء في أيامه ؟ وكيف تكون ولادة المسيح في عهده ؟! .

ومما يدل على ذلك أن كاتب إنجيل لوقا ذكر في ١ / ٥ أنه كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها أليصابات ..

ثم ذكر في ١ / ٢٦ أنه حين كان أليصابات في شهرها السادس من الحمل أرسل الله ملاكه جبرائيل إلى العذراء مريم .

ولما عجز بعض النصارى عن الإجابة عن هذا ، حكم بأن الجملة الثانية « وهذا الاكتتاب .. » ملحقة بالنص ، وليست أصلية [١] .

---

(١) إظهار الحق ص ١٦٧ طبعة قطر .

٢ ـ جاء في لوقا ٦ / ٤٠ : « ليس التلميذ أفضل معلمه ، بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه » .

وهذا غلط ظاهر ، لأن الكثيرين من التلاميذ صاروا أفضل من معلميهم بعد إكمال علمهم ، وكم من تلميذ فاق أستاذه . فلا يصح إطلاق العبارة هكذا .

٣ ـ جاء في إنجيل يوحنا ١ / ٥١ : « وقال لهم : الحقّ الحقّ أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .

وهذا غير صحيح ، لأن هذا القول كان بعد التعميد ، وبعد نزول الروح القدس . ولم يرَ أحد بعدهما السماء مفتوحة والملائكة صاعدة نازلة على المسيح ابن الإنسان . والوعد كان بالأمرين معًا .

٤ ـ ذكر كُتاب الأناجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ تنبأ بأن نهاية العالم وعودته ستكون في القرن الأول الميلادي . وقد سيطرت هذه الفكرة على مؤلفي العهد الجديد ، ولاسيما كاتب إنجيل متى ، فقد كان أكثرهم حرصًا على تأكيدها :

جاء في إنجيل متى ٢٤ / ٣ : « وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

٢٤ / ١٥ : فإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عنها النبي دانيال قائمة في المكان المقدس فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية .

٢٤ / ٢٩ ـ ٣٥ : وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تظلم الشمس .. ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على سحاب في كل عزة وجلال .. الحق أقول لكم : لن ينقضي هذا الجيل حتى يتم هذا كله .

وجاء في ١٠ / ٢٣ منه أيضًا : الحق أقول لكم : لن تنهوا عملكم في مدن إسرائيل كلها حتى يجيء ابن الإنسان .

وفي ١٦ / ٢٧ ـ ٢٨ منه : سيجيء ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته فيجازي كل واحد حسب أعماله . الحق أقول لكم : في الحاضرين هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا مجيء ابن الإنسان في ملكوته .

وقد ورد نحو ذلك أيضًا في مرقس ١٣ / ٢ ـ ٤ و١٣ / ١٤ و١٣ / ٢٤ ـ ٢٦ و١٣ / ٣٠ ـ ٣١ وفي لوقا ٢١ / ٥ ـ ٧ و٢١ / ٢٠ ـ ٢٢ و٢١ / ٢٥ ـ ٢٨ .

وبناء علىٰ هذه الأقوال فإن قدماء النصارىٰ كانوا يعتقدون أن نزول المسيح للدينونة قريب وأنهم في الزمن الأخير . بل منهم من يعتقد أن يوحنا لا يموت قبل أن تقوم القيامة ، لأن المسيح قال لبطرس في حق يوحنا : « إن كنت أشاء أن يبقىٰ حتىٰ أجيء ، فما ذلك » . وقد اعترف علماؤهم بأن هذه كانت عقيدتهم المسيطرة عليهم . ويظهر ذلك من رسالة يعقوب ٥ / ٧ ورسالة بطرس الأولىٰ ٤ / ٧ ورسالة يوحنا الأولىٰ ٢ / ١٨ والرسالة الأولىٰ إلى تسالونيكي ٤ / ١٥ ـ ١٧ والرسالة الأولى إلى فيلِّبس ٤ / ٥ والرسالة الأولىٰ إلى كورنثوس ١٠ / ١١ و١٥ / ٥١ ـ ٥٢ ورؤيا يوحنا ١٣ / ٦٥ ـ ٦٨ و٢٢ / ٧ و١٠ و٣٠ .

وقد خرب الهيكل خرابًا تامًّا ولم ينزل ابن الإنسان مع أن نزوله يكون في الحال بدون تراخ ، وهاهم تلاميذ المسيح قد ذاقوا الموت جميعًا وأصبحوا عظامًا نخرة ومضى ذلك القرن ولم

يأت ابن الإنسان في ملكوته للدينونة .

ولا يمكن حمل الكلام على قيامتـه بعـد الصلب في زعمهم . لأنه لم يُر آتيًا على السحاب ، ولم يحاسب أحدًا على الإطلاق . ولذلك قال جون كونتن : « ومن الواضح أن شيئًـا من هـذا لم يحدث كما توقعه متى » (١) .

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن مراد المسيح بذلـك خراب الهيكل والانتقام من اليهود ، لكن الكلام فُهم فهمًا خاطئًا ، ثم حرف وكتب بمقتضى هذا الفهم .

قال الأب بولس إليـاس في كتـابـه (يسوع المسيح) (٢) : « من المؤكـد أن مرقس كتب إنجيلـه قبل سنـة ٧٠ م أي قبـل خراب أورشليم في عهد تيطس . لأنـه لو كان كتبـه بعـد هـذا التاريخ لما كان أخطـأ في فهم نبوءة المسيح عن خراب أورشليم كمتى ولوقـا اللـذين ظنـا أن المسيـح يقصـد من نبـوءتـه هـذه

(١) إظهـار الحق ١ / ١٥٤ ـ ١٥٧ و١٨٤ ـ ١٨٦ ، مجلة الجـامعـة العـدد ٤٩ ص ١٥٦ و١٦٧ ـ ١٦٨ ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٦ .

(٢) ص ٢٥ ـ ٢٦ ، انظر المسيحية لأحمد ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

خراب العالم والدينونة الأخيرة ، لا خراب أورشليم ، ولكان أصلح خطأه .. وهذا دليل على أن الإنجيليين رددوا أقوال المسيح على علاتها من غير أن يفهموها في بعض الأحايين » .

وصفوة القول : إن هذه النماذج غيض من فيض مما فيها من اضطراب وتنافر ومخالفات للحقائق والوقائع والتاريخ . مما يؤدي إلى سقوطها كلها . ولا يمكن الادعاء البتة أنها كتبت بإلهام الوحي . كما لا يمكن أيضًا أن تُقارن أسفار العهد القديم أو الجديد أدنى مقارنة بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية ، حتى ولا بكتب المغازي والسِّير التي ربما تساهل بعض العلماء في شروط صحة نقلها وتوثيق رواتها ما لم تكن مضطربة لأنها تُروى للعبرة والاتعاظ ، لا لأخذ الأحكام الشرعية . أما أسفار العهدين فلا سند لها ولا ما يشبهه ، ولا يُعرف كتابها على وجه راجح ، وهي مضطربة أشد الاضطراب كما ظهر . وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

* * *

أهم المصادر والمراجع

ا ـ القرآن وعلومه :

١ ـ تفسير الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المطبعة اليمنية ، ونسخة أخرى بتحقيق محمود محمد شاكر طبعتها دار المعرفة .

٢ ـ الكشاف للزمخشري طبعة دار المعرفة .

٣ ـ الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م نشرته وزارة الأوقاف في الكويت .

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي الطبعة الثالثة مطبعة الحلبي .

٥ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم الطبعة الأولى عام ١٩٥٩ م مطبعة عيسى الحلبي .

٦ ـ مقدمتان في علوم القرآن تحقيق آرثر جفري .

٧ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٩٧٢ م .

٨ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

٩ ـ المصاحف لأبي داود تحقيق آرثر جفري المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ الطبعة الأولى .

١٠ ـ المقنع لأبي عمر عثمان الداني مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٠ م .

١١ ـ الصاحبي لأحمد فارس تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى الحلبي .

١٢ ـ النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع لإبراهيم المارغني المفتي المالكي بتونس وبهامشه رسائل أخرى . طبع ونشر دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء .

١٣ ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الأول ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ .

١٤ ـ تفسير المنار محمد رشيد رضا طبعة دار المعرفة بيروت .

ب ـ السنة وعلومها :

١ ـ جامع الأصول لابن الأثير الجزري تحقيق عبد القادر الأرناؤوط طبعة عام ١٩٨٩ هـ و ١٩٦٩ م .

٢ ـ فتح الباري لابن حجر طبعة المطبعة السلفية .

٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي .

٤ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ .

٥ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية جمعها عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة الرياض .

٦ ـ مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ .

جـ - الكتب التي تبحث في مناظرة أهل الكتاب :

١ - الأجوبة الفاخرة لشهاب الدين المالكي المعروف بالقرافي طبعة دار الكتب العلمية عام ١٩٨٦ م و ١٤٠٦ هـ بيروت لبنان .

٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية مطابع المجد التجارية .

٣ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية . وقد طبع مع كتب أخرى في مطبعة المدينة بالرياض .

٤ - اليهودية لأحمد شلبي الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م مكتبة النهضة الحديثة .

٥ - المسيحية لأحمد شلبي الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م مكتبة النهضة الحديثة .

٦ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير طبعة بيروت عام ١٣٣٠ هـ .

٧ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة لعلي عبد الواحد وافي طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٨ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب الطبعة الأولى عام ١٩٨١ م و ١٤٠١ هـ طبعة دار النفائس بيروت .

٩ ـ إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي طبعة المغرب ونسخة أخرى طبعة قطر ١٩٨٠ .

١٠ ـ محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في الرياض عام ١٤٠٤ .

١١ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي طبعة دار المعارف .

١٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة .

د ـ كتب أهل الكتاب :

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م وهو من طباعة البروتستانت .

٢ ـ العهد الجديد الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨١ م مع حواشيه .

٣ ـ التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري نشرها وعرف بها أحمد حجازي السقا ، طبعة دار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ و ١٩٧٨ م .

٤ ـ إنجيل برنابا تقديم الدكتور خليل سعادة والناشر محمد رشيد رضا .

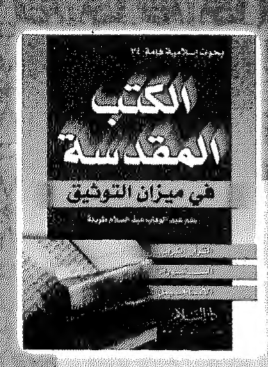
٥ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لسعيد بن منصور بن كونة اليهودي تقديم الدكتور عبد العظيم المطعني طبعة دار الأنصار .

الفهرس






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الكتاب في سطور

كان للكتب المقدسة دور كبير في استقرار حياة الإنسان في الدنيا ، وتهيئته للظفر بسعادة الآخرة ، وقد ظل هذا لفترة من الزمن بعد وفاة عيسى عليه السلام ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كل كتاب مقدس في زماننا كتاب سماوي ، وما هي القواعد والشروط التي وضعها الباحثون لقبول الكتاب السماوي ، وهل الكتب الأخرى غير القرآن تم تحريفها أم لا ، وكيف تم ذلك ، ولماذا لم يدخل التحريف القرآن ، وما السبب في حفظه دون تحريف؟ هذا ما يوضحه الكتاب من خلال عرض تاريخ[illegible] والإنجيل منذ نزولهما حتى عصرنا الحاضر [illegible] كل ما يتصل بهما وكيفية تحريفهما ، وذلك [illegible] مناقشات منهجية ، توضح الصورة بجلاء و[illegible]

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
١٢٠ شارع الأزهر ص.ب ١٦١ الغورية
ت: ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٥٩٣٢٨٢٠
فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
e-mail: info@dar-alsalam.com
http://www.dar-alsalam.com